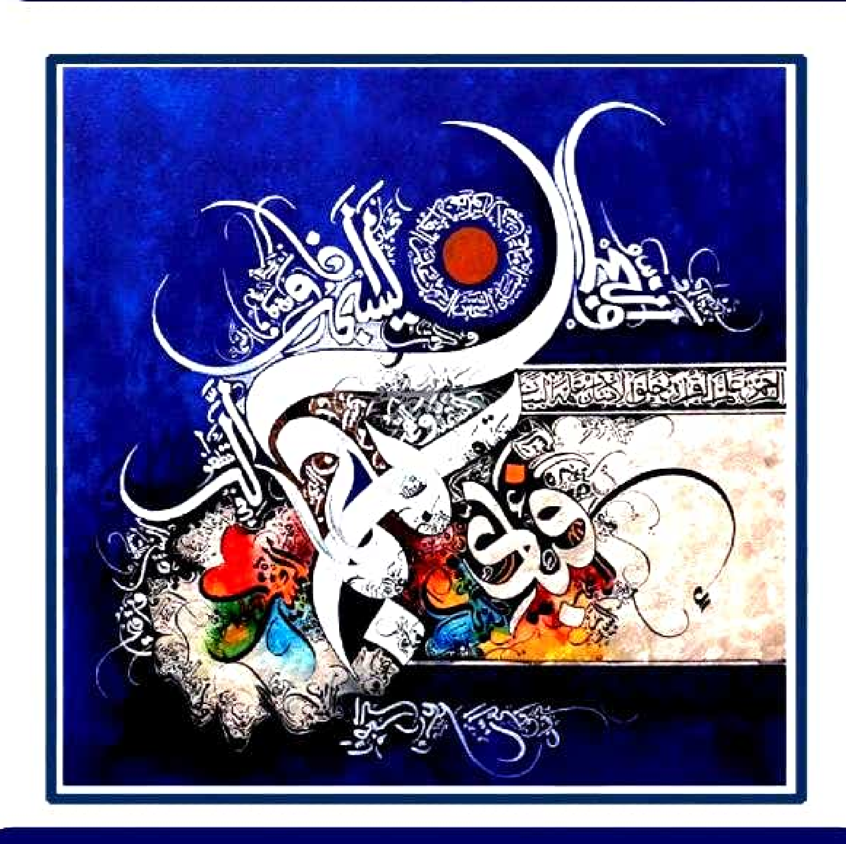
معالم في مناهج تحليل الخطاب

الأستاذ الدكتور
أحمد مداس





بالعلم نرتقي
مركز الكتاب الأكاديمي

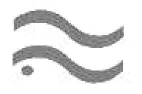
معالم في مناهج تحليل الخطاب

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2019 /9 /4512)

414.01
مداس، احمد
معال في مناهج تحليل الخطاب/ أحمد مداس.- عمان: مركز الكتاب الاكاديمي، 2019
()ص.
ر.إ.: 2019 /9 /4512
الواصفات/ الخطاب الأسلوب الأدبي/ اللغة العربية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أوأي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى 2019

ISBN978--9957-35-409- 1 **(ردمك)**



مــــركـــز الكتـــاب الأكـاديمـــي
عمّان-وسط البلد-مجمع الفحيص التجاري
ص . ب : 11732 عمّـــــان (1061) الأردن
تلفاكس: 96264619511+ موبايل: 962799048009+
الموقــع الإلكتروني: www.abcpub.net
A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net

معالم في مناهج تحليل الخطاب

أ.د/أحمد مداس

مــركـز الكتــاب الأكاديمــي

مقدمة

جرت البحوث في مناهج تحليل الخطاب على تكرار نماذج التحليل التي تزخر بها الساحة النقدية واللسانية، وقلما ترى تجديدا أو رؤية تقويمية للسائد والمعروض؛ فقد تجاذب الموضوع صعوبة الطرح النظري في مقابل صعوبة النماذج المقدمة إجراءً وتطبيقا، فلا الباحث المقتدر قدّم معرفةً للباحث الناشئ، ولا الباحث الناشئ وجد في الأعمال المطروحة معالم يهتدي بها، ويقارب من خلالها النصوص بغرض تحصيل المعارف في صورتيها المنهجية والإجرائية التطبيقية.

في هذا العمل قراءات في المنجز النقدي واللساني المعاصر، تنحو إلى رسم معالم رئيسة في تقصيها لحقيقة الطرح في الساحتين السالفتين. وعليه؛ تظهر العلوم المعرفية منعرجا مهما في البحث اللساني والنقدي من جهة التحول نحو مضامين النصوص ومحمولاتها الدلالية والتصورية التي تعطي لتحليل الخطاب وجوده المنطقي والمعرفي. وتُظهر بوضوح الصراع الجديد بين المدرسة الأمريكية وباقي المدارس الأخرى. وهذا معلم أول.

المعلم الثاني، التخصصات البينية التي تظهر في آخر الخيط الذي يبدأ بالعلوم المعرفية، حيث التوجه نحو المعرفة المركبة التي لا تستثني الموضوعات المشتركة ولا المناهج المختلفة في معالجتها لقضايا تخصصاتها؛ لتكون الصورة المنتهى إليها انفتاح طبيعي لتخصصات دقيقة يفرض ذاته

على تخصصات متقاربة وأخرى متباعـدة ولكنهـا متكاملـة، تحقّـق المظهـر العام للمعرفة في مقابل المظهر الخاص لها، وهو ما يقضي تدريجيا على نقاء التخصص على الرغم من وجوده القصري، نحو تكامـل المعـارف بوصـفه غاية يُجبَر البحث على تحقيقهـا، ليجـد لنفسـه مكانـا في عـالم تتجـزأ فيـه المعارف داخل كلّ موحد هو المعرفة العليا والكلية، التي تحتّم علـى تحليـل الخطاب التعامل معها نحو بلوغ الصورة التي تبدو الأكمل والأوضـح، إن على مستوى العلوم وتنوعها، أو على مسـتوى النصـوص ومحتوياتهـا، أو على مستوى المناهج ومقارباته.

المعلم الثالث، التجريب والقياس في مرحلة الحداثة حيث محاكـاة الأعمال في تحليل الخطابات لنماذج سابقة، يقاس على مناويلـها النجـاح، والترتيب، وتكون قابلة للقياس الذي يحقّق الهدف من جهة مقاربة معلـوم واضح المعالم، وبيّن الرؤية، وإن كان في هذا الطرح تقليد وتكـرار، تفطّـن إليه الباحثون لاحقا، من حيث لا تتحقق من المقاربات غير صورة التكرار والتشابه والمشاكلة، فكان الاختلاف مطلبا شبه شرعي إن لم نقـل شـرعيا، يحقّق معرفة مختلفة، منهجيا ومضمونيا، وقد حصل إلى حدّ ما مع ممارسات إجرائية حققت السـبق، واكتسـبت المكانـة، وصـارت منـوالا يُقتَـدى بـه، ونموذجا يُحَاكى، وهو ما أكّد معلم التجريـب والقيـاس، وصـفة المشـابهة والتكرار، دون أن ينفيَ مطلقا صفة التفرد بوصفه بعـض الأعمـال نمـاذج تُحاكى.

وعلى هذا، جاء المنظور الثاني ممثلا في صورة التجربة الفردية التي لا تقلّد سابقا ولا تحاكي نموذجا سابقا، وإنما تصنع فضاءً خاصا منهجيا ومضمونيا، وتحقّق رؤيةً بذاتها، ولم يكن ذلك ممكنا غير في مرحلة ما بعد الحداثة، مع المدارس الإنجليزية والأمريكية والألمانية ونظريات القراءة والتأويل والإدراك والإنتاج التي تعنى رأسا بكيفيات التداول والاستعمال وتدخل الذهن والتّصوّر في الإنتاج والفهم والاستيعاب، بتجاوز الدلالة والتركيب والنص والخطاب، إلى تحليل متعدد الجوانب متكامل الرؤى، متجانس المقاربة، لا يأتي على بيانه غير المقتدرين الذين يقدمون تجارب فردية في شكل ممارسات ذاتية يجمعون فيها بين الذاتية والموضوعية من جهة، وبين الانتقاء والشمولية من جهة ثانية. وهي معالم فرعية تكمّل المعالم السالفة، وتعطيها بعض الخصوصية والتميّز، وإن كانت لا تعترف كثيرا بمرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة أو ما بعد الحداثة التي ارتسم معها المعلم الرابع.

المعلم الرابع عمل مشترك ومطول مع الباحثة الأكاديمية رفيدة أبو بكر، وقد حاولنا فيه مناقشة تماهي القيم والمعارف وخروجها من الطبيعة المسلّم بها على صورة بذاتها، نحو الصورة الأكثر ورودا وظهورا في وسائل التواصل الاجتماعي، وتصور نقد يحمل سمات الرقمنة والمعرفة، معتمدا على التكنولوجيا بوصفها تخصصا بينيا ومعرفيا يشتغل على تخصصات مختلفة، بما يؤكد نظرية المعرفة المركبة، التي تشكل رغوة معرفية

كلية بفقاعات معرفية جزئيـة، لا يحسُـن فهمهـا إلا داخـل المعرفـة الكلّـة والعليا، ليكون بين ذلك جميعا صورة الانسجام والتناغم التي لم تتحقّق في أزمنة ماضية، ولا في مقاربات سـابقة. ولـذلك جـرت التجـارب الفرديـة على استقصاء المعرفة فيما يمكن أو لا يمكن البتّ فيه، من حيث إنّنا أمام الصورة والصـورة المضـادة علـى مسـتوى التنـاقض الظـاهر، أو التكامـل الباطن. وعلى هذا الأساس؛ تعيّن النقـد المعـرفي شـكلا ونمطـا لا نـدّعي جدته المصطلحية، ولكن الجدّة في المنهجية التي تفرضها التجارب الفرديـة، على مستوى طبيعة المقاربة ومداراتها، وكذا مستوى المضـامين والمحتويـات التي تعطي تجديدا وتميّزا وتفرّدا، لم يكن من حظ مقاربات مرحلة الحداثـة إلا نادرا، ولذلك جاءت مرحلة ما بعد الحداثة ثم ما بعد بعد الحداثة تباعا بتوالي التجارب الفردية.

وقد لوحظت صورة الانتقال والتحوّل إلى الأمام تطورا، وإلى الخلف استدراكا حيث بدا كل العمل منتهيا عند مراعاة الكلية والمعرفة العليا التي تندرج تحتها المعارف الدنيا والجزئية.

والحقيقة أن هذه المعارف لا تكتمل إلا بنماذج إجرائية لم يتحقّق منها إلى الآن غير عملين؛ أولهما متعلق بمرحلـة الحداثـة والتجريـب والقيـاس، وقد جرى على تتبّع التشاكل والتباين في المنجز السيميائي المعاصر ممتطيـا صهوة الخطاب الشعري، والثاني متعلق بالتجربة الفردية والتفاعل الرقمي من منظور نظرية التلقي، مقاربا النص السردي بعد اعتماد آليات الفيـديو

الرقمي واستقصاء آراء وقراءات المتفاعلين. والعملان معا يشتغلان على الانتقاء بوصفه نقطة جزئية تدور حولها المقاربة، إذ بوضوحها تتّضح الشمولية. كما يشتغلان على موضوعية البنى اللسانية التي لا تغفل عن ذاتية الطرح من حيث محاكاة نماذج سابقة في الأول بيانا للتجريب والقياس، أو من حيث تجربة فردية ذاتية الطرح تنحو إلى موضوعية المعرفة تحقيقا في الثاني.

رجاؤنا أن يحقّق هذا العمل هدفه المرسوم ضمن ما سميته: نظريات التأويل وتطبيقاتها في المنجز النقدي واللساني المعاصر؛ ولذلك جاء موسوما بـ: معالم في مناهج تحليل الخطاب، بمنهج سميائي يستقرأ المنجز النقدي واللساني المعاصر ويصفه ويحلله بما تبيّن أنه مناسب زمن إنجازه. وليس توقفنا عند هذه المعالم يرسم علامات غلق الموضوع، بل يفتحها في نظري على ما لم يحط به نظرنا، وما لم يتحقّق في معرفتنا، ليكون له في أعمال غيرنا ما يزيده عمقا وجدّةً، وقد يكون فيها ما يغني عن هذا الذي نعرضه بالبيان والإظهار، ونرجو له أن يّعطيَ بقدر الجهد الذي بُذل في إنجازه.

أ.د/ أحمد مداس

المعلم الأول

علم الدلالة المعرفي وتحليل الخطاب

رؤية في الفهم والاستيعاب وتفسير ظواهر الإنتاج اللساني

مقدمة :

إنّ اللسانيات المعرفية في صورة علم الدلالة المعرفي أو علم الدلالة التصوري وما تعلّق به من مقاربات معرفية يشتغل على تكامل المعارف وتداخلها وفق منطق ذهني خالص؛ فالفكر والوعي والذكاء عناصر مهمة تجيب عن عمل الذات البشرية وهي تنتج الكلام والخطاب. وعليه؛ فإنّ معارف كعلم النفس وعلم الاجتماع اللغوي وفلسفة اللغة وثقافة المجمع والإعلام الآلي وغيرها من المعارف تجد منافذ في إنتاج الخطابات تفسيرها، بل وتفسير الظواهر المؤثرة في كينونتها، بوصفها مظاهر تهيمن على وجود الإنسان. وهذا وجه.

الوجه الثاني يكمن في اليسر والسهولة اللذين يجدهما الإنسان في الحديث وإنتاج الخطابات وعيا ولا وعيا في مقابل صعوبة فهم وإدراك الكيفية شرحا لهذا الفعل اللساني المعقّد، إن على مستوى الأداء أو على مستوى المضامين بوصف الخطابات أنظمة تواصل ترتبط بعلم الدلالة للتعبير عن المشاعر والأفكار والتجارب بحثا عن العالم المشترك أو العالم المختلف. ببساطة نحن أمام ظاهرتي اكتساب اللغة وإنتاج الخطابات

وفهمها. وإذا كان الفعل الكلامي اللساني في هذا المقام ذا طبيعة نفسية ومعرفية؛ فإنه يكتسب أهمية اجتماعية كون إنتاج الخطابات يوافق تصورات ذهنية ووسائط ثقافية واجتماعية محدّدة.

إنّ الأصل ليس في ضرورة معرفة اللغة، ولكنّ إتقانها في سياقاتها الاجتماعية أمر أكثر من ضروري؛ ذلك أنّ الوجود الكلامي اللساني يحيل بطريقة آلية على تلك السياقات التي تصنع في الأذهان التصورات الكفيلة بفهمها وجودة إدراكها من حيث البنيات المهيكلة كالدين والفن واللغة بوصفها أنظمة رمزية، ومن حيث البنيات المهيكَلة كالتواصل والتفاعل لغةً وثقافةً وسلوكا، بما يضع علامات الخطاب اللساني المشترك في سياق ثقافي أصيل، فيه أُنتجت ومنه أخذت قيمتها الدلالية.

المعرفة [1] عمليات عقلية من إدراك وتعلّم وتفكير تجمع بين العالم والفرد، وهي أيضا وسائل المؤسسات لاكتشاف السلوك والفعل. وتقع المداخل المعرفية في النواحي العقلية المستثمرة في الفهم والاستيعاب، بوسائل التقابل والاتصال بين الذات والموضوع من حيث الإدراك . وهي الأدوات المسهمة في العملية الإدراكية الذهنية والتصورية.

[1]- ينظر: محمد أركون، القرآن من التفسير إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صلاح، دار الطليعة، 2005، ص91.

في عملية الفهم وسيط لغوي [1] يؤدي دور المثير ليحرك نمطية التأويل والفهم بأكملها، باستثمار كلّ المعارف السابقة، سواء أكان الملفوظ استعارة أو كان ملفوظا عاديا؛ لأنّ حمولته الدلالية تعيّن معنى صريحا طرفاه معنى قضوي وقوة إنجازية مرتبطة بأسلوب الكلام، كما تعيّن معنى ضمنيا وطرفاه معنى عرفي وآخر حواري. وبين المعنيين الأصليين تقابل الصريح والضمني على أساس الإشارة والإيحاء كما يراه غرايس. إن البحث في البنية اللفظية(التركيبية) يسوق إلى تصور المحمول في البنية الذهنية كما يؤكدة جون سورل [2]؛ ذلك أنّ البنى العقلية تتناسب والبنى اللغوية في تعيين المعاني الحرفية والمعاني السياقية، ولذلك تشتغل الدراسات على العناصر الإشارية والأوهام الممكنة والإشباع القصدي، بالنظر إلى المقاصد ونظرية أفعال الكلام التي تتعيّن معها المعاني التي هي ضروب مما في الأعيان وضروب مما في الأذهان على تناسب التوافق أو الاختلاف. .

وعلى هذا الأساس تأتي دراسات أخرى لتكمل هذا التوجه من حيث البلاغة المعرفية مع مارك تورنر (Mark Turner)ونظرية المزج

---

[1]- ينظر: صالح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص24 وما بعدها.

[2]- ينظر: جون سورل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006، ص132.

التصـوري(blending theory) وقبلـها نظريـة الاسـتعارة التصـورية [1]. وفي الأولى مزج مفهومي لعملية بناء المعنى، على مستوى العرفنـة واللاوعـي، ثم على مستوى الوعي، بحيث يقع تمثيل العمليـات المعرفيـة وفـق منظـور ثقافي عام، وهو معرفة ترسبت مع الـزمن في الـذهن، حتـى يصـبح ممكنـا المسك بمعالم عالمنا وبنائه.

إنّ المزج بـين عـالمين في الاسـتعارة يقتضـي في مرحلـة أولى إسـقاط أحدهما على الآخر، بإلحاق اللاحق بالسـابق، فيقـع مـزج غـائي تلقـائي مكونا الاستعارة التصورية بتعيين المعاني الجديدة سواء أتمّ الاشتغال علـى المشابهة أو على المرجعية أو على المعارف في صورتها القديمـة المكتسـبة أو في صورتها الجديدة الحادثة.

على هذا؛ فإنّ الحاصل رؤيـة معرفيـة تجـري علـى البلاغـة والشـعر والقراءة بما يقتضـي وجـود نقـد معـرفي يواكـب هـذا المـد [2]. وفي جميـع الحالات فإنّ مدار البحث قائم علـى اللسـانيات المعرفيـة في صـورة علـم الدلالة المعرفي/ التصوري من حيث إنتاج الكلام وفهمه وإدراكه وسيجري

---

[1]- ينظر: بيتر ستوكويل، نحو لسانيات معرفية نقدية، مجلة جيل للدراسـات الأدبيـة والفكريـة، تـر: امحمد الملاخ، طرابلس، لبنان، العـدد44، 2018، ص28 ومـا بعـدها. المترجـم أسـتاذ بجامعـة القاضي عياض مراكش المغرب، ينشط بالكلية المتعددة التخصصات بآسفي، المغرب.

[2]- ينظر: بيتر ستوكويل، مقدمة في النقد المعرفي، تر: سلمى سليمان ، دار النشر العلمـي ومطـابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ، ص2. وينظر:
Mickael Short, cognitive poetics and texture : a cognitive aesthetics ofreading.
وكلها تقتضي بحثا مستقلا ومفردا.

العمل على مدارين؛ أولهما مدار الحدود والمفاهيم، وفيه اللسانيات والعلوم المعرفية، ثم اللسانيات وعلم الاجتماع والتأثير الطبقي والجغرافي أداءً على الفهم والإدراك والتصور. والثاني مدار المساءلة والاستقصاء، وهو مخصص للدلالة التصورية في المدرسة الأمريكية.

أولا- مدار الحدود والمفاهيم:

1- اللسانيات والعلوم المعرفية:

في هذا المدار من الضروري تعيين حدود مهمة كحد العلوم المعرفية واللسانيات المعرفية، لنرصد في مدار آخر ترابطها بالعلوم والتخصصات البينية وتداخلاتها، قبل الولوج في المدار الأخير المتعلق بالاشتغال مادةً ومقاربات. تُشكّل العلوم المعرفية مجالا تتداخل فيه العلوم والمعارف، وتهدف إلى فهم الأنظمة الذهنية التي هي الفكر والذكاء والوعي. كيف يشتغل العقل البشري وهو ينتج الخطابات؟.

وتلتقي في العلوم المعرفية معارف مختلفة كعلم النفس اللغوي والفلسفة والعلوم العصبية والإعلام الآلي والتعلم والانتباه والبرهان والذاكرة والذكاء [1]. وتشتغل اللسانيات المعرفية على ثلاثة مجالات رئيسة:

---

[1]-G.Lakoff, women, fire and dangerous things, what categories reveal about the mind, university of Chicago press, Chicago, U S A , 1987, Pxi.

- علم الدلالة المعرفي الذي يركز على الدلالة المعجمية.
- المقاربات المعرفية للنحو ممثلة في التركيب وعلم الصرف.
- علم الأصوات المعرفي.

لا شك في وجود معارف أخرى متصلة كالنحو البنائي والاستعارات ومفاهيمها، والفضاءات الذهنية، ونظريات التأويل والنسبية اللسانية، ونماذج الاستعارات المحوسبة، والبحث في علم النفس اللغوي. ولذلك تسعى اللسانيات المعرفية ومن ورائها اللسانيون المعرفيون إلى تجميع كل الاكتشافات في كل واحد منسجم، ربما بفعل عدم استقرار مصطلح اللسانيات المعرفية بشكل نهائي؛ فهو حقل جديد نسبيا، ويتداخل مع علوم ومعارف أخرى كثيرة. ولذلك تأتي أعمال راي جاكندوف(R.Jakendoff) تلميذ نعوم تشومسكي(N.Chomsky) القائمة على نقد مكتسبات النحو التوليدي التحويلي في صورة البحث المتكامل عن الدلالة في الإنتاج اللساني من منظور سليم منهجا علميا، وتفسيرا تقنيا، ونظرية تنحو إلى التكامل.

يبدو جاكندوف واقعيا في تفسير الظواهر اللسانية من وجهة نظر علم النفس اللغوي وإدخال البنيات والصور المنمذجة (صور نموذجية اجتماعيا في التداول والاستعمال) بحثا عن القصد المشترك في العالم المشترك أو في

العالم الخاص [1]. إلى الآن فإن الإنتاج اللساني له صلة وطيدة بعلم النفس اللغوي الذي يسعى إلى وضع توازن معقول بين علم النفس وبين الكلام الذي ينتجه الأفراد؛ فقد تمَّ وضع معادلات في هذا المسار على النحو الآتي [2]:

(مر1)/ النحو الذهني= الكفاءة اللسانية= النحو اللساني

(مر2)/ النحو اللساني مُبادئ الأداء الفردي= السلوك الشفوي/ اللساني

بما يحدد الحال العامة لإنتاجية الكلام اللساني داخل إطار الحقيقة النفسية. وقد تعيّن علم النفس اللغوي دراسة الأنظمة المعرفية المشتغلة على معالجة وإنتاج الكلام، بما يجعله يستعين باللسانيات(علوم اللسان) وعلم الأعصاب وعلم الأعصاب البيولوجي وعلم النفس والعلوم المعرفية [3]. ولأن الكلام نظام تواصلي مشفوع بدلالة؛ فإنه يستعمل

---

[1]- في الخطابات المنتجة بحضور المتخاطبين الأمر يبدو لي فيه الكثير من الفوائد التي تحقق الهدف الذي ترومه اللسانيات المعرفية ولكن بمجرد العودة إلى النصوص بغياب مؤلفيها تعود مشاكل الفهم كلها إلى صورة ما تحدثنا عنه في قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص42-81، وقضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص33-58.

[2] - Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage,, in l'année psychologique, p u f, 1972,vol.72, n2, p487.: وهذا المقال منشور في موقع

http : www.persée.fr/doc/psy_0003-5033_1972-num72_2_27960.

[3]- لاحظ في كل مرة تبدو الحدود غير واضحة بين المعارف والعلوم المعرفية؛ لأنّ المسألة شراكة بين تخصصات تناقش موضوعات بعينها. فعلم النفس المعرفيّجميع العمليات التي يتمّ من خلالها نقل

أصواتا ورموزا تسمح بالتعبير عن المشاعر والأفكار والتجارب كما تسمح بالتعبير عن الفكر، ولذلك يكون للعامل النفسي وجود في هذه المجالات التي لا يستقل فيها الفعل عن غيره في سلوكات مركبة تجمع بين التلفظ بوصفه فعلا لسانيا وبين الشعور بوصفه فعلا نفسيا. إن علم اللغة النفسي يشتغل على ثلاثة محاور رئيسة: اكتساب اللغة، وفهمها مكتوبة ومنطوقة، أصواتا ورموزا، ثم الإنتاج الخطابي على مدارات الاكتساب والاشتغال والتطور.

إنّ التواصل بوساطة نظام من العلامات للتعبير عن عوالم خاصة أو إدراكات بذاتها يسمح بإنتاج جمل جديدة لتشكّل كلاما من مركبات مختلفة تترابط فيما بينها مشكّلةً تلك الجمل ، التي تشكّل بدورها حكايةً أو خبرا متسقا اتساق الجمل وتجاور الكلمات التي تبنيها وتصفها داخل بنية

المدخلات الحسيّة وتحويلها واختصارها وتوضيحها وتخزينها واستعادتها واستعمالها"، الزغول والزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت ط، ص17. وقد نسبا هذا التعريف إلى نيسر (Ncisser). ومفاد التعريف حصول الفرد على المعلومات وتحويلها إلى معرفة، تنظر ص19 منه. في هذا البحث حصر لخاصية الإدراك الذهني التصوري جمعا بين علم النفس المعرفي واللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي. فبالنظر إلى العلوم المعرفية من وجهة نظر اكتساب اللغة وتعلّمها؛ فإنّ هذا يتقاطع مع علم النفس التربوي وعلم النفس اللغوي واللسانيات التطبيقية واللسانيات الحاسوبية(حوسبة اللغة) بما يجعل كلّ هذه التخصصات وموضوعاتها متداخلة أو متقاطعة من جهة تعلّقها بالاكتساب والتعلّم وطرقهما وشرح كيفيات ذلك كلّه. وهو ما فيه تأسيس بالضرورة للتخصصات البينية التي تجمع بينها جميعا موضوعات بذاتها تجد لها وجودا في كلّ تخصص. بمعنى يمكن مناقشة موضوعات مشتركة بين تخصصات مختلفة متنوعة أو تخصصات متشابهة متقاربة أو متكاملة.

ما. ولأنّ في الموضوع هذا المد من العوامل النفسية في إنتاج الكلام؛ فإنه من الضروري أن يكون لكل ذلك علاقة باللسانيات المعرفية وعلم النفس، وهما جزءان مهمان من العلوم المعرفية، وليسا هما فقط كما سنرى.

2- اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي: المؤثران الطبقي والجغرافي

علم الاجتماع اللغوي [1] فرع من اللسانيات يسعى إلى تصور الإنتاج اللساني عند المتكلمين، وهو متعلّق بالوسائط الاجتماعية . وإن كان بعضهم يفرّق بين "الملفوظات الاجتماعية " التي ترنو إلى معرفة أكثر عمقا للمجتمع من خلال اللغة، عن علم الاجتماع اللغوي الذي يسعى إلى تحقيق علاقة بين الانتماء الاجتماعي للفرد واستعمالاته اللسانية، كما أن بعضهم الآخر يجمع بينهما بمفهوم واحد. وعلى العموم؛ فإنَّ علم الاجتماع اللغوي يستبعد أن يكون موضوعه اللغة بالمعنى السوسيري المناقش بوصفه أنظمة من العلامات، كما يستبعد أن يكون موضوعه الكفاءة بالمعنى التشومسكي الموصوف بنظام من القواعد، حيث يتدخل

[1] - Davy Bigot et Robert Papen, la sociolinguistique en résumé, uoh.concordia.ca/ sociolinguistique.

في هذا العمل حديث مطول عن أعمال فاصولد(Fasold) 1987 و1990، وبايون (Bayon) ومارسيليزي وغاردن (Marcellisi et Gardin)1974، وهايمس (Hymes) 1972. وكذا أعمال ويليام لابوف(W.Labov)، وفيه أيضا حديث عن اللسانيات الاجتماعية و التنوع اللغوي اللساني.

مفهوم الكفاءة التواصلية عند هايمس(Hymes) ليقضي بتعدي معرفة اللغة إلى جودة استخدامها في سياقها الاجتماعي بالدرجة الأولى والقصوى. ولذلك يكون موضوع علم الاجتماع اللغوي دراسة اللسان/ الكلام في سياقه السوسيو-ثقافي، بما يحقّق المعرفة الدلالية التي تجمع بين قطبي الكلام : الشكل الظاهر المسمى البنية اللسانية والمضمون المضمر المسمى المعنى القصدي، ونتعمّد هذه التسمية بعيدا عن البنية السطحية والبنية العميقة اللتين تمت مناقشتهما في مستوى آخر، وهما لا يجيبان عن سؤال المعنى المتعلق بالإنتاج والفهم والإدراك.

من هنا فإنّ التناول الاجتماعي للظاهرة يشتغل على محورين: الأول مقاربة تعطي الأهمية إلى الاجتماعي على حساب اللساني، وتدخل كل معطيات التنظيم الاجتماعي بالضرورة في التحليل اللساني، ليكون الهدف تحديد معالم النظرية اللغوية في سياقها السوسيو-ثقافي من أجل فهم الحياة الاجتماعية. والثاني مقاربة تعتمد حلّ المشاكل اللسانية في الوجهة الاجتماعية فقط دون غيرها . ومهما يكن من أمر فإننا أمام صورتين تتحقّق من خلالهما أهمية الدراسات اللسانية الاجتماعية؛ فمن جهة أولى تحولت الرؤية باتجاه فهم وإدراك واستيعاب الملفوظات في سياقاتها الاجتماعية، لتكون معانيها جامعة بين التلفظ الفردي والتأثير الاجتماعي. ومن جهة ثانية، تحوّلت الدراسة من الطبيعة الأفقية جغرافيا(لسانيات جغرافية) إلى الطبيعة العمودية اجتماعيا(لسانيات اجتماعية)، تتعدى

الظــواهر الصــوتية واللهجيــة إلى المضــامين الدلاليــة الــتي يُحــدثها التواصل [1]بوصفه ديناميـةً تحـرّك فعـل الكـلام عنـد المتكلّمين، وتوجـب التفاعل معه عند المتلقين.

بهذا المعنى فإننا نجد أنفسنا أمام الظاهرة الخطابية وإنتاج الكلام وفق منظومات وقواعد مكتسبة أو فطريـة، تتطلـب معرفـة مـن وجهـات نظـر مختلفة تسعى إلى تحقيق الهدف الأساس من كلّ عملية تواصل تقـوم علـى هدف خطابي ورسالة ما، مع اعتبار حدّي الوضوح والغموض والتركيب بينهما؛ فقد يكون الغموض رساليا والوضوح نصيا ليكون الهـدف لسـانيا لغويا خالصا، وقد يكون الوضوح رساليا والغموض نصيا ليكون الهـدف تواصليا مخصوص الوجهة، وقد يكون الوضوح نصـيا والوضـوح رسـاليا ليكون الهدف تواصليا عاما لا تخصيص فيه، وقد يكون الغمـوض رسـاليا والغموض نصيا ليكون الهدف قائما بذاته بوصفه تشفيرا إراديـا مقصـودا

[1]- إن التغير المعجمي والتغير النحوي والـتغيرات الصـوتية تؤسـس قطعـا للتنـوع اللسـاني الـذي سينظر في الظاهرة اللغوية من وجهة نظر اجتماعية أسلوبية بما يبيح مشروعية التساؤل:هل هناك علاقة بين البنيات التركيبية المستخدمة ومعاني أخرى غير ما تعودته المجموعة البشرية الأصـلية؟ في كتاب "قراءات في النص ومناهج التأويل" لأحمد مداس، بعض الإجابة عن هذا التساؤل، تنظـر ص47-49 منه، وفيـه حـديث مهـم لـدى بيـار بورديـو (P.Bourdieu) في langage et pouvoir (symbolique)، وبول ريكور (P. Ricœur) في(la métaphore vive).

يحقّق هدفه في مستوى ما قد يُدرَك وقد لا يُدرَك، فهو تواصل مخصوص وضيّق [1].

وبهذا المعنى أيضا نجد أنفسنا أمام التحوّلات الجذرية للدرس اللساني، حيث يجد المنطق ذاته؛ فمن اللسانيات العامة لدى سوسير إلى لسانيات الجملة ومكتسبات التركيب عند تشومسكي، إلى اللسانيات النصية لدى هاريس، ثم اللسانيات الحاسوبية فاللسانيات المعرفية، وصولا إلى الدلالة المعرفية والدلالة التصورية، و بين ذلك مقاطع بحثية هامة يضيق المجال لذكرها والاستفاضة فيها. ولكن المهم في هذه التحوّلات هو صورة الانتقال التي تحقّق هدفا جديدا على أساس البحث في المعنى والدلالة، وتدخّل عدد من العوامل تحدّد المرجع الذي يتكئ عليه الإدراك في صورتيه الحسية والذهنية. إن العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية والإيديولوجية تشكّل وجودا معرفيّا يمارس سلطته على المتكلم عند إنتاج الكلام، كما يمارس سلطته على المتلقي وهو يحاول فهمه-أي الكلام- في صورتيه اللفظية الخطابية والنصية الكتابية، وإن كان في الحال الثانية-أي التلقي الكتابي- أكثر مشقّةً وأعلى دقّةً بل أوسع مدّا وجبروتا، حيث تبقى صورة أغلب الظن تحتاج إلى ما يرفعها، وتصنع

---

[1]- ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، ص 43-79 في حديثه عن حركة الدوال المفتوحة في تفكيكية دريدا وتغيّر معنى الكلمة في الرسالة لدى بيار جيرو (P.Guiraud) .

تشكيلا ضبابيا لا ينقشع، وتجعل من المعنى مضمونا يتمنع حينا ويصعب حينا، بل يستحيل تحصيله في أحيان كثيرة.

وقد تعيّن بهذا الوصف أن تشابكت المعارف وتداخلت وصار بعضها عصب بعضها الآخر، وتنوعت من حيث أنها تشابكت، فبدت متعالقة متماهية كما بدت متباعدة مختلفة، وللرائي ثاقب النظر أن يتلمّس تماهيها من تباعدها، كما يحدّد تعالقها من اختلافها ، وكيف له ذلك وبم يكون؟. إنّ التحوّل الحاصل في البحث عن الدلالة والمضامين الذي تعدّى البنى اللسانية وأشكالها هو الذي جعل البحث اللساني يضيء بل يشتعل لهبا جديدا متجدّدا، حافظ من حيث عنى أو لم يعن على الجوانب اللسانية المتلفظ بها، وراح يؤسس للوجود المضموني الدلالي، متخطيا حدود الوصف والتفسير إلى تقنين قواعد الفهم والإدراك، أو هكذا بدا لي؟

هنا لا شك في ظهور التخصصات البينية والعلوم المعرفية المتداخلة والدراسات الثقافية والانثروبولوجية التي لا تريد أن تنفصل على الأقل من جهة المتلقين الذين يجعلون الإدراك والفهم والاستيعاب أهدافا وغايات، يتحقق معها التواصل المثمر والتفاعل الموجب الذي يعطي للحياة رونقها على أساس التواضع اللساني والاستعمال الفردي في التداول. وقد كان الدرس اللساني قبل هذا يأخذ صورة التحليل الواصف الذي قد يبلغ درجة التفسير إن تيسّر، وهو ما لم ينجح في المدّ اللّساني وانطلق إلى المد البنيوي فالسيميائي فالأسلوبي، ثم التداولي على أساس

المبادئ اللسانية التي بيّن جاكندوف أفول نجمها في تسعينيات القرن العشرين، حتى أنّ بعض النظريات النقدية التي تستند إلى العروة اللسانية تخطت اللسانيات في صورتها اللفظية السطحية إلى المحمولات الدلالية باعتماد التجربة الفردية وترك القياس والتجريب والنظر، فكانت مرحلة ما بعد الحداثة وما أحدثته من ثورة معرفية سرت على العلوم قاطبة منتجةً منظورا تكامليا يؤدي فيه التخصص الدقيق دور وجهة النظر والمنظور المتخصص المنفتح على باقي التخصصات. ولا ينكر بحال صراع المدارس اللسانية والفلسفية والنقدية؛ لأنها ببساطة تستند إلى منتجات الدرس اللساني ونظرياته التي تحقّق أو تعد بتحقيق غاية تكون هدفا أساسا في مرحلة ما من مراحل تطوّر العلوم.

إنّ موضوعات النحو الذهني والكفاءة اللسانية والسلوك اللساني الفردي والحقيقة النفسية للكلام والتلفظ المتحقّقة في السياق الاجتماعي [1]، وتأثير المجتمع على اللّسان وعلى الكلام وعلى الفرد الفاعل فيهما، وقيّم التّواصل والتّفاعل واكتساب اللّغة ونظامها التّعبيري الأدائي، والفهم والإدراك والإنتاج الخطابي، والدلالة المعرفية والمقاربات المعرفية للنحو وأنظمة الكلام وقواعده، والتفكير والأفكار والذكاء والوعي والفلسفة والذكاء الاصطناعي والذاكرة، كلّها من مباحث

[1] - R.Jackendoff, Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002,p34.متحدثا عن اللغة في سياقها الاجتماعي

اللسانيات المعرفية في تعالقها بعلم النفس اللغوي وعلم النفس المعرفي [1] واللسانيات الاجتماعية [2]. وهو ما يعطي لهذا المدار سبب وجوده في هذا المقام. وهي الموضوعات التي تجد لها وجودا بالقوة في مختلف الاختصاصات المذكورة على سبيل التداخل والتواشج؛ ولذلك ما في العلوم المعرفية هو مادة علوم أخرى لأنها منها وتشتغل على مخلفاتها وافتراضاتها المعرفية من حيث الاكتساب والاشتغال والتطور نظمًا وتركيبًا ودلالةً ومعرفةً.

[1]- ينظر: رافع النصير الزغول وعماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، ص18-22 وقد جاء فيه أنّ موضوعات علم النفس المعرفي هي: الإدراك وعلوم الدماغ والانتباه والذاكرة وتمثيل المعرفة والتخيّل والتصور الذهني والنمو المعرفي وحل المشكلات والذكاء الطبيعي والذكاء الاصطناعي.

[2] - Davy bigot, op cit, les variations linguistiques(linguistique variationniste/ التغير والتنوع اللساني): التغيرات المعجمية والنحوية والصوتية.

ثانيا- مدار المساءلة والاستقصاء [1]:

يؤكد جاكندوف أنّ اللسانيات في تسعينيات القرن العشرين صارت على الهامش بعيدة عن النشاط الذي يقع في العلوم المعرفية، وقد كان النحو التوليدي مثلا مرتبطا بالبيولوجيا وعلم النفس بوصفها حقولا متجاورة معرفيا يأخذ منها التركيب-عصب الدرس اللساني يومئذ- القيمة العلمية تأسيسا للنظرية اللغوية ضمن إطار العلوم المعرفية [2] أو التخصصات البينية بما يؤدي انفتاحا معرفيا على مجمل العلوم؛ ففي حال موضوعنا فإنّ إنتاج خطاب ما، يعيّن بالضرورة صورة انتماء ما، مما يجعل محمول الخطاب -وهو نسق لغوي- معرفةً تتصل بالدماغ البشري(القالب

---

[1]- قدّم محمد غاليم ومصطفى الحداد قراءات في مشروع جاكندوف؛ الأولى دراسة في مفاهيم هندسة التوازي والبنى التركيبية والدلالية والذهنية، بعنوان: "بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي" نشره في موقع:. http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm . والثاني ترجمة بعنوان: "جاكندوف ضد تشومسكي"، من كتابه أسس اللغة وخصّ الصفحات 26 و651-707 بالترجمة، ونشرها على موقعه: http://mustafahaddad.blogspot.com/2007/05/blog-post_15html.

قد استفدت من هذين العملين كثيرا. للإشارة فقد كتب محمد غاليم "المعنى والتوافق"(1999) و"النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة" (2007)، وغيرها.

[2] -R.Jackendoff, foundations, p3

وقد ناقش تعقيد التركيب والبنيات التركيبية ومركزية التركيب (syntactocentrism) في ص 107، حيث كان التأسيس اللساني يقوم على التوليد قبل تحوّله إلى الرؤية الجديدة وفق منظور اللغة ظاهرة ذهنية كما في ص19 منه، مما أوجب الحاجة إلى تأسيس نحو ذهني. تنظر ص38 منه. وينظر أيضا مقدمة:

G.Lakoff, women, fire and dangerous things,p xii-xiii.

الـذهني) في صـورته الشـعورية اسـتبطانا، وهـو الممتنـع عـن البلـوغ إليـه بالكشف مـن حيـث كيفيـة البنـاء النحوي(نظـام اللغـة) [1]، ومـن حيـث المضمون القصدي استظهارا، ذلك أنّ الخطاب نظام لغوي يحمـل معرفـة، ويتقلب بين العموم والخصـوص. فقـد **اكتسـب** المخاطـب نظـام الكـلام وقواعده من وجوده الاجتماعي، وأدرك طبيعة التأليف وحقيقـة الإخبـار بالممارسة، وصنّف علـى اعتبـار قـدرات الـذهن علـى التصـوّر والإدراك والتواضع [2]، وعلى هذا يكـون الاسـتعمال اللغـوي معرفـة ذهنيـة قبليـة تتحكم في وظيفة الإنتاج والإفهام معا. فإذا أخذنا هـذا الاسـتعمال علـى أساس قواعد النحو اللاشعورية؛ فإنّ الإنتاج والفهـم خاضـعين للقواعـد ذاتها. إنّ الاكتساب والإنتاج هنا يقومان على تداخل معرفي مع نظريـات علـم النفس وفلسفة اللغـة كمـا هـو المكتسـب اللسـاني عنـد تشومسـكي وجاكندوف وغيرهما، وهو ما يسمح بالحديث عن معرفة متنوعة في بـاب الممارسة اللغوية [3]. والأمر معقود على إنجاز من غير تفكير وأداء لرؤية ما ذات معنـى ومغـزى. ولـيس الإشـكال في الأداء علـى الإطـلاق منطوقـا

---

[1] - R.Jackendoff, foundations, p26. علم الدلالة ضد النحو التوليدي

[2] - R.Jackendoff, foundations, p267.علم الدلالة مؤسسة ذهنية

[3]- يناقش جاكندوف هذه المسألة من باب مقارنة لغـة الأطفـال في مقابـل لغـة الكبـار، بمـا يسـميه 'مفارقة اكتساب اللغة'، لينتهي إلى أنّ الموضوع مرتبط بطبيعة الاسـتعمال والاسـتعداد الفطـري للفرد لا للتعلم النحوي والمعرفة اللغوية بالاكتساب التعليمي.. يمكن الحديث عـن تعلـم ذاتـي داخل المجتمع ورفقة المجموعة البشرية الناطقة بلغة بذاتها. ينظر مقال محمد غاليم ومقال مصطفى الحداد الأليكترونيين، مرجعين سابقين.

ومكتوبا، ولكن الإشكال في الفهم والإدراك وتعيين المقاصد [1]؛ فقد انتهى بحث البنى التركيبية عند تشومسكي عند عتبة البنية السطحية شكلا تعبيريا تقابلها البنية العميقة دلالة مفهومية، ولكن الحاصل أن رؤيا المعنى لم تصدق؛ لأنّ البنية العميقة لم تعد وجها وحيدا للمعنى، فقد يتعدّد، وقد يؤجل، وقد يُرفَع أصلا ليغيب في أذهان المتلقين، وذلك في حال صورة الغموض على مستوى اللفظ أو على مستوى الرسالة أو على المستويين معا [2].

فنظرية الدلالة التوليدية أضفت تعدّدا للبنى العميقة في سعيها إلى الإمساك بالمعنى، وردّا على تأخير سوسير للبحث الدلالي في الدرس اللساني المعاصر على عكس ما رأى جاكندوف موافقا سوسير، فقد أدرك أنّ المعنى لا تحدّه حدود ولا قيود مضبوطة، وهو نقد صريح لنظرية الدلالة التوليدية التي رادها جورج لاكوف (G. Lakoff) وغيره، وهو ما جعل التوليد بوصفه بحثا في المعنى ضيّق التناول لظهور التيارات المعرفية الأخرى التي تبحث فيه بعمق أكثر، وربما كان لعمليات الفصل بين العلوم

---

[1] - R.Jackendoff, foundations, p280(مقاربات المعنى السياقية)et p294(المعنى المشترك)

[2]- يمثل مصطفى الحداد لذلك بـ: قُتل زيد- قتل أحد زيدا. وأي وردة قطف خالد؟- قطف خالد هذه الوردة. مثل هذا التقدير لا يشكل عبءا على الفهم مطلقا، ولكن ماذا إذا جاء التركيب على غير هذا الوضوح. على أننا لا نحتاج مطلقا مثل هذا البيان واكتفاؤنا بالتركيب في صورته السطحية أبلغ بالحذف من الزيادة في التقدير. قد يساعد هذا التمثيل في تعلم اللغات الثانية لغير الناطقين بها لكنه لا يفسر الظاهرة اللغوية ولا يجيب عن سؤال المعنى والدلالة.

أثر واضح في عدم بلورة رؤية أكثر اعتدالا في تعيين البنى المضمونية للتراكيب والخطابات وإن كان ذلك الفعل هدفا قائما بذاته.

يقوم كل تركيب(جملة..) على ترتيب الكلمات ترتيبا نحويا صحيحا، وهو ما يتطلب نطقا صوتيا سليما يؤدي دور التناغم مع المحيط اللغوي، وتبقى الدلالة التي تعادل المعرفة في صورتها المضمونية معلقة إلى حين ظهور المساعد على الفهم ليتم الإدراك على أفضل الوجوه وأرقاها [1]؛ وذلك لأنّ الدلالة تصوّر ذهني عند المتكلم ، وهي تصوّر ذهني مفهومي عند المتلقي، وكلاهما معلّقان بكفاءة هندسة التوازي [2]. ويبدو لي هذا ما يجعل لتحليل الخطاب وجود؛ ففي مرحلة أولى تتآلف الكلمات لبناء بنيات تركيبية، وفي مرحلة ثانية تخضع البنيات لعدد من العمليات التركيبية، وفي مرحلة لاحقة، تُرسَل بعض البنيات إلى الواجهة الصوتية وتتحوّل إلى متواليات منطوقة. ويُرسَل بعضها الآخر إلى الواجهة الدلالية ليتحوّل إلى متواليات مفهومية. تمثل هذه المراحل الهندسة المتوازية المتداخلة في آن واحد في صورها التركيبية والصوتية والدلالية على أساس نحو ضمني في الممارسة اللسانية (تداول واستعمال)، وهو المبدأ المؤسّس للنظام اللغوي. وقد بدا لي بهذا الشكل البنيوي المعلّق دلالةً يعطي مبررات

---

[1] - G.Lakoff, op cit, p56. متحدثا عن صناعة المعنى وفق نماذج المقاربات المعرفية.وينظر أيضا: R.Jackendoff, foundations, p345 (إسهام موجهات الإدراك) et p318(مساعدات الفهم: أسماء الأعلام والحالات والأشياء المجردة)

[2] - R.Jackendoff, foundations, p196(كفاءة هندسة التوازي) et p107(هندسة التوازي).

وجود وممارسة تحليل الخطاب، كما يعطي مبررات التحول من البنية اللسانية إلى البنى المضمونية التي تحمل في طيّاتها معارف مختلفة على مستويات متعددة؛ فالموضوع الأصيل بنية معرفية، ومنظوراته المتنوعة بنيات معرفية بنيويا، ومقارباته وآلياتها بنيات معرفية منهجيا، سواء أكان الحديث عن التركيب أم كان عن النص والخطاب.

تؤدي المعارف والمعتقدات دورا موجّها في الفهم وسياق التواصل وتحصيل مقاصد المتخاطبين مشكّلةً الأنساق الإدراكية التي تمكّن من رسم الخطط لتصوّرات منطقية هادفة تصلح للتواصل وتوجيه المقاصد. ولا يمكن لهذه الأنساق والتصوّرات أن تتفاعل تحقيقا للدلالات المضمونية إلا إذا أحدثت في الذوات العارفة شكلا من التصور العام والموحد للعالم، ويكون هذا التفاعل في البيان الذي يسّر الفهم على أساس البنية الذهنية المشتركة للمتخاطبين. ولا شكّ في فردانية النظرية الدلالية النفسية لانتماء البنية التصورية إلى مستعمل اللغة إنتاجا، وهو ما قد ينفي الاشتراك فيها بين المتخاطبين [1] لتعارض الفهم مع الإنتاج، كما قد يكون القصد فرديا وهذا أمر طبيعي لأنّ القصد الجماعي معلوم بالضرورة، مما ينفي بطبيعة

[1] - G.Lakoff, op cit, p9.

وفيه يؤكد اعتقاد كلّ الناس على أنهم يستعملون النظام المفاهيمي نفسه، وأن اعتقاد نظرة صحيحة للعالم وطريقة واحدة للفهم اعتقاد خاطيء. وهو ما يضع موضوع العلاقة بين الحقيقة والمرجع على المحك؛ فالرموز تأخذ معانيها من علاقاتها بالأشياء في العالم الخارجي. وقد ناقش هذه القضية جاكندوف في أسس اللغة، ص294 من النسخة الأصلية باللغة الأنجليزية.

الحال وجود المعنى المشترك، ويثبت في المقابل وجود الهدف الخطابي الذي يحرك عمليتي التواصل والتفاعل معًا. ولو افترضنا ضرورة وجود معنى مشترك، وفرضنا وجوده على المتخاطبين، لكان النص تحصيل حاصل، لا يقول إلا ما يقوله الافتراض المسبق والمشترك. وهذا في نظري محال، إلا أن يكون الخطاب قائما على صورة لا تحتمل غير ذاك الافتراض.

وبالعودة إلى رؤية المحاكاة؛ فإنّ مستعمل اللغة لا يعبّر عن كيان ما لم يكن له تصوّر عن ذات الكيان [1]، وهو بذلك ينحو أن يوصل ذاك التصوّر إلى غيره. إن العلاقة بين الدلالة الملفوظية وما تحيل عليه عند المتلقي هو ما يصنع الفارق في الإدراك الذهني [2]، ولا يبدو مباشرا سهل الإدراك إلا ما تحقّق في المستوى الأدنى للتجريد التواصلي، وكلّما زاد التجريد والكثافة زاد الغموض وانعدم الفهم بتلاشي الرسالة التواصلية وتلاشي وضوحها، وإن كان هناك شيء من الاشتراك في الممارسات الاجتماعية والثقافية فهو الحد الأدنى لكل توافق، ومنه ينبثق الفضاء التصوري بهندسة مشتركة أساسها الاستعمال اللغوي المشترك لإيصال المعاني (الرسائل) باشتراك في المقاصد لأجل تواصل مثمر يحقّق الهدف منه؛ لأنّ هذا التأكيد يقع على

[1]- ينظر: جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريّم، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، 2010، ص77 في حديثه عن الإفادة والإحالة. وأصل الكتاب: Semantics and cognition , Cambridge, Massachusetts, U S A, 1983.

[2]- ينظر: بول ريكور والمحاكاة الثلاثية، وجاك دريدا والتصور والتصوير والقراءة. ينظر : أحمد مداس ، قضايا في تحليل الخطاب، ص33-56.

الوسيلة اللغوية ممثلةً في التراكيب والبنى النظمية التركيبية على أن يكون فيها المؤدّى الرسالي، ويعتقد المرسل إمكانية إدراكه عند المرسَل إليه على أساس مبدأ التعاون والاشتراك في المقاصد كما جاءت به الدراسات التداولية.

وأما ما يخصّ المحمولات والمضامين فإنّ كلَّ تباعد في البنى التصورية بين المتخاطبين أو بين الخطاب وقارئه يسبّب اختلافا في امتلاك المعلومات واختلافا في التجارب وصراعا على مستوى الأهداف والغايات، وهو ما يقع موقع المخالف لمبدأ التعاون بوجود التصوّر الخاص الذي يجابه التصوّر العام المشترك، وهو المصطلح عليه بالقصد المشترك وفق منطق العلاقات التعاونية التي تسعى إلى تقريب الفهم بأكثر الوسائل تدليلا على البيان والوضوح. وكما سبق القول ليس الإشكال في المشترك من المقاصد ولا في مبدأ التعاون الظاهر، ولكن ماذا إذا غطّى الإبهام والغموض كل بيان وكلّ وضوح حتى يبدو الخطاب من غير محمول يحيل عليه؟ وبخاصة إذا تعلّق الأمر بغياب المتخاطبين وحضور الخطاب مواجها القارئ؟

لا ننكر وجود تساؤلات مشروعة من قبيل الطابع الفردي للبنى التصورية وهو ما يضع التواصل أمام محكّ الكيفية؟ ثم ما يكون الحال عند رفع قواعد المحادثة وشروط النجاح كما هو عند التداوليين(غرايس وسورل)؟ ثم كيف لتصوّر خاص يبلوره تصوير خاص(محاكاة) أن تقع موقع القراءة السليمة عند من لم يتصوّر البنية التصورية إلا من خلال

المخاطب قراءةً؟ وكيف للقصد الفردي أن يصبح قصدا مشتركا بإجماع المجموعة البشرية الناطقة بلغة الخطاب محلّ التواصل؟. يبدو لي أنّ المشكلة في إنتاج الخطابات الفردية وتحوّلات دلالة الملفوظات في استخدامها الفردي لا في سكون اللغة المعجمي.

إنّ البنية التصوّرية جزء من الفكر وليست جزءًا من اللغة، وهو ما يتطلّب نحوا معرفيا ولسانيات حاسوبية وعلم نفس معرفي، وعلم اجتماع معرفي، ومعارف أخرى تشكل الهندسة المتوازية والمختلفة التي تصنع فرقا في البنية التصوّرية للمتلقي، مما يفرض بطبيعة الحال انفتاحا معرفيا على حقول مختلفة تتجاوز النسق التركيبي والصوتي والنحوي والدلالي إلى الأنساق النفسية والاجتماعية والثقافية، فتترابط هذه المكونات بوصفها هندسة تقوم على التوازي والاختلاف معا، كما تحافظ على استقلالها التركيبي والدلالي. إننا بصدد الحديث عن الحدود التي لا تتعيّن بتحديدها لشدة تداخلها واقتراب مجالات اشتغالها من بعضها البعض. فهل يصدق قول القائل: "**إن العلوم المعرفية كعلم النفس البشري والحيواني بفروعهما، والذكاء الاصطناعي وفلسفة الذهن، وفلسفة اللغة،...تفرض على اللسانيات باعتبارها علما معرفيا أخذ نتائج هذا التطور بعين الاعتبار والاندماج بصورة طبيعية في البحث الساعي إلى بلورة ما أصبح يسمى اليوم نظرية صورية للمعرفة**" [1].

[1]- محمد غاليم، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي،http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm

في كتابه "علم الدلالة والعرفانية"[Semantics and cognition] [1] ناقش جاكندوف إحدى عشر قضيةً مجزّأةً على أربعة أجزاء جعل البنية الدلالية والبنية التصورية [2] موضع تساؤل في الفصل الأول منه، ليخلص في الفصل السادس إلى التسوية بينهما [3] وبين الموضعين مناقشات موسّعة للإفادة والإحالة وعلاقة العالم المشار إليه بالعالم المحال عليه [4]، ثم يتطرق إلى الأسس المعرفية لعلم الدلالة [5]، مسوّغا حديث النظم وبنياته التصورية والنظمية [6] بوصفها حديثا صريحا عن معاني الكلم، ويجعل من العلاقات الإسنادية [7] ونظرية التمثيل [8] بخصائص مغزى علم الدلالة ومغزى المعرفية وسياقات الاعتقاد موضوعات مهمة في عمليات الإنتاج والفهم والتصور [9].

---

[1]- تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريّم، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، 2010. وقد حافظت على لفظ العرفانية في هذا الكتاب وفي الاقتباس منه احتراما لاختيار الباحث ووقوفا على الأمانة العلمية.

[2]- ينظر: السابق، ص37.

[3]- ينظر،السابق، ص191.

[4]- ينظر، السابق، ص77.

[5]- ينظر: السابق، ص99.

[6]- ينظر : السابق، ص129.

[7]- ينظر: السابق، ص335.

[8]- ينظر: السابق، ص373.

[9]- في الحقيقة صدّر المترجم للكتاب بسيرة علمية وافية في نظري تجعل الحديث عن أعمال جاكندوف في هذا المقام تكرارا يسبّب النفور، ولذلك يحسن الرجوع إليه، كما يحسن الرجوع إلى

في الحقيقــة ظهــر اهتمــام فوكونييــه(Fauconnier.G) بالفضــاءات الذهنية [1] مبكرا إنتاجا للتلفظ والكلام، ثـم جـاء عمـل بينكـر(Pinker.S) القائم على قابلية القراءة المقترنة بالمعرفة (العرفانية) مـن خـلال اكتسـاب البنيات الحجاجية [2]، وقد سبقهما راي جاكندوف في كتابـه السـابق علـم الدلالة والعرفانية [3] وهو يؤسس للانفصال السلس عن النظرية التوليدية بربطـه المباشـر بـين الدلالـة والمعرفـة حيـث توصـل إلى بنيـات علـم الدلالة(البنيات الدلالية)، وهي البنيات التي لم تلق الاهتمـام الخـالص؛ إذ كان التركيب هو مدار العملية التحليلية في نظريـات اللغـة، فتعـيّن عنـده البحث في الذهن والبنيات والتصورات الدلالية والذهنية بحثا عـن المعنـى والدلالة والفهم والتصور تبعا للإنتاج الكلامي وفعل التلفظ [4]، ثـم راح يبحث عن دور اللسانيات في العلوم المعرفية [5] بعد حدوث التحوّل فعليا من البنى التركيبية إلى البنى الذهنية والتصورية، وهو مـا صـرّح بـه تـالمى (Talmi.L) في بداية القرن الواحد والعشرين في "نحو علـم دلالـة معـرفي" [6]،

ما كتبه محمد غاليم عنه وعن النظرية التصورية في:algabriabed.net/n96_05ganem.htm تماما كما فعل مصطفى الحداد في: mustafahaddad.blogspot.com/2007

[1] - G .Fauconnier., espaces mentaux, minuit, Paris, 1984.

[2] - S .Pinker., learnability and cognition, the acquisition of argument structure, Mit press, 1989.

[3] - R. Jackendoff, Semantics and cognition , Cambridge, Massachusetts, 1983.

[4]– R. Jackendoff., semantic structures, Mit press, 1990.

[5] - R. Jackendoff., semantic the role of linguistics in cognitive science, the state of the art, the linguistic review.

[6] -S. Talmy, toward a cognitive semantics, Mit press,2000.

ويعده بعامين ألّف جاكندوف"أسس اللغة" [1] مثبتا نظرية البنيات الذهنية والتصورية مع امتداد يطول الذهن والمعنى والنحو والتطور، ثم أردف عليها بالوعي والثقافة رابطا كل ذلك باللغة [2].

ما يهمنا هنا هو الوقوف على جملة من النقاط تبدو رئيسةً :

- الأسس المعرفية لعلم الدلالة بما يصنع التواشج بين علم الدلالة والعلوم المعرفية المبيّنة سلفا كعلم النفس المعرفي وعلم النفس ونظريات الدلالة المنطقية وعلم الاجتماع اللغوي وفلسفة اللغة وغيرها.

- التحوّل من مركزية التركيب إلى مركزية الدلالة؛ بالنظر إلى كون التركيب والنظم فرعين من الدلالة وكلاهما داخل بحال في البنية اللغوية اكتسابا وفهما. وأن نظرية الدلالة التوليدية مع لاكوف(Lakoff) وبوسطال (Postal) وهو تيار منشق عن تشومسكي لم يحقّق الهدف ممثلا في الدلالة والمعنى، وذلك باعتبار النظم ناتج عن الدلالة وليس العكس، وهو السبق الذي يبقي البحث مفتوحا؛ فمعنى الكلام وسيرورته التصورية فعل ذهني، وأما العلاقة بين المعنى والكون فتأتي في المقام الثاني، وهو الرأي السائد في النظرية الذهنية. وعكسه ما يتداوله فلاسفة اللغة من اعتبار المعنى قائما على أساس التماثل أو التضارب بين اللغة والكون وتأتي العمليات الذهنية في المقام الثاني. ومهما يكن من أمر فإنّ:

---

[1] - Jackendoff.R, Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002.

[2] - R.Jackendoff, language, consciousness, culture essays on mental structures, Mit press, 2007.

- **المعنى هو الهدف الغائب،** تحصيلا وإدراكا ذهنيا، وتفسيرا وآلية اشتغال بين المتخاطبين تلفظا وملفوظا، وإن كان في الفهم أشدّ وقعا منه في الإنتاج.

- **علم الدلالة التأويلي وعلم الدلالة التصوري** في مقابل **علم الدلالة التوليدي،** وإن كانا التياران يلتقيان في نظرية الدلالة المستبطنة؛ فالنظم أساس النظام اللغوي خطأ في فكر جاكندوف، لأنّ الحقيقة عنده أن الذهن هو الأساس، وهذه هي الحقيقة الجديدة التي يطرحها بديلا في الدرس اللساني من منظور العلوم المعرفية.

- **هندسة التوازي**(parallel architecture): وتقوم على **استقلال** العمليات الذهنية وفعل التلفظ من حيث النظم والتركيب، والفنولوجيا صوتيا، والدلالة معنى وقصدا منفردا أو مشتركا، ولكنّها **تتداخل وتتفاعل** معا في عمل معقّد بخاصيتي الاستقلال الذاتي لكل مركب، والتداخل والتفاعل مع بعضها البعض لتحدث الأثر إنتاجا وفهما وتصوّرا. إنّ الدلالة هي المضمّن في العلوم المعرفية بعد أن كانت مضمَّنَةً في اللسانيات، وربما هو التضمين المخالف الذي جعل اللسانيات جزءًا من العلوم المعرفية.

- **ظهور ثنائية البنية السطحية/ البنية العميقة** في حاجة إلى العلاقة **مع الكون،** لاشتغال التصوّر على هذه الصورة بالمقاصد وسياقات الاعتقاد والإحالية والمشار إليه في مقابل المحال عليه، وكذا الاشتغال المتداخل حينا

والمستقل حينا آخر لنظريات الدلالة الاستبطانية (internalist semantic theory) والدلالة الاستظهارية (externalist semantic theory)، من منظوري علم الدلالة التأويلي (interpretative semantics) وعلم الدلالة التوليدي (generative semantics)، وعلم الدلالة الذهني والتصوري [1] على أساس النظرية الذهنوية (mentalism) التي أسست للنظرية المعرفية.

- **يبقى سؤال كيفيات الاشتغال مطروحا:** للإجابة عن هذا السؤال يقترح علماء النفس اللغويون [2] كيفية اشتغال تستند إلى مكتسبات النحو التوليدي بتشكيل رباعي؛ ففي التشكيل الأول تحدث تحولات ضرورية داخل البنى النحوية التركيبية تدور حول الجملة النواة، وتثنّى في الاستعمال بتحوّلات أخرى اختيارية تعطي البنى السطحية وهذا على المحور العمودي، لأنها على المحور الأفقي يتمحور المركب الدلالي (composante sémantique) بفعل التدليل (signification)، ليقابل المركب الفونولوجي.(composante phonologique) وما يُؤديه من تسلسل صوتي(chaine acoustique)[الشكل1وتحوّلاته]. وفي التحوّل الموالي يتدخل المعجم ليشكل البنية العميقة بدل الجملة النواة وتبقى التحولات كما في التشكيل السابق، ليكون في التحوّل الثالث الشك في إمكانية تحصيل

---

[1] - فيه حديث عن علم الدلالة المفهومي(intentional semantics)، وآخر عن علم الدلالة الامتدادي (tentional semantics). حافظت هنا على الملفوظ باللغة الأنجليزية كما ورد في النص الأصلي.

[2] - Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage, p490 المقابل باللغة الفرنسية كما في النص الأصلي.

محتوى المركب الدلالي. وفي آخر التحوّلات تأتي مدخلات المعجم لتجمع بين المركب الدلالي والبنى السطحية في صورة المركب الفونولوجي المؤدي إلى التسلسل الصوتي. وفي هذا الطرح تعقيد مركب للتراكيب وصعوبة في الأداء، وتحصيل الكيفية؛ إذ الظاهر من العملية المركبة تدخل المركّبات النحوية والدّلالية والصوتية والمعجمية مع الجملة النواة التي يصعب تحديدها أصلا، والبنى العميقة والبنى السطحية في العملية إجمالا. وقد قدّم هذا التيار نموذجا للبحث عن المعلومات في الذاكرة بنيّة الفهم والتحديد الدلالي [1] باقتراح التأويل الدلالي للجملة، يقوم على مسح المركّبات المرتبط بسجل الدخول السريع.

- **كما اقترح** جاكندوف ردا على ما سبق -فيما بدا لي- سلسلة الترتيب في علم الدلالة التوليدي: الأبنية الدلالية القائمة على قواعد سلامة التكوين الدلالي، تتناسب والأبنية النظمية وفق قواعد سلامة التكوين النظمي باستخدام مكتسبات المعجم مما يؤدي إلى الصورة الفونولوجية وتظهر التمثيل الصوتي [2] ممثلا في التركيب استعمالا وأداءً. [الشكل2]. وبغض النظر على منطقية التفسير؛ فإنَّ هذا التفسير على ما هو عليه من ترتيب لا يجيب عن سؤال المعنى والدلالة بشكل يجعله مرفوعا. فهل الهدف هو تفسير العملية أم إيجاد سبل البحث الكفيلة بتحقيق المعنى؟ ولهذا يقترح الذهنيون النموذج الأوسط على فكر نظرية

[1] - ibid,p 504. Modèle de Wilkes et Kennedy, 1969.

[2]– علم الدلالة والعرفانية، ص56.

التطور: الأبنية التصورية على خلفية قواعد سلامة التكوين التصورية من منظور النظام الحركي والنظام السمعي ووسائل الإدراك الذهني والحسي، لتحقق -تداولا واستعمالا للنشاط اللغوي- الأبنيةَ الدلاليّةَ وفق قواعد الاستدلال اللغوي التي تتناسب والأبنية النظمية بقواعد سلامة التكوين النظمي باستخدام مكتسبات وقدرات المعجم لتظهر الصورة الفونولوجية للأبنية النظمية تمثيلا صوتيا. وتكون العملية في صورتها المركبة مشكّلةً للنظام اللغوي [1][الشكل 3]. ثم تأتي الصورة المتطورة لهذا النظام مختزَلةً في صورة [2] [الشكل4]: فمن النظام البصري والحركي ووسائل الإدراك تأتي الأبنية التصورية وفق قواعد سلامة التكوين التصورية مشفوعة بقواعد الاستدلال التداولية التي تتناسب والأبنية النظمية وفق قواعد سلامة التكوين النظمي بما يكفله المعجم، ليظهر التمثيل الصوتي فونولوجيا، معينا صورةً ما. في هذا التمثيل والتشكيل على اختلاف مراحله يبقى البناء النظمي أساسا في التحليل، ومنه يكون البحث في الأبنية التصورية والذهنية التي يفترض أنها سابقة للإنتاج الكلامي، ويطرح الوضع مشكلة الحضور والغياب بجدّة عند التعامل مع الملفوظات سمعا في مقابل الأبنية المخطوطة كتابةً، وكلها مظاهر تواصلية في نهاية المطاف. وهذا وجه فيه النشاط الكلامي كيان مستقل.

[1]- ينظر السابق، ص74.

[2]- ينظر السابق، ص75.

- الوجه الثاني إعادة الاعتبار للمؤلف-وهو كيـان مسـتقل أيضـا-؛ فقد كان التحوّل خطيا من المؤلف إلى النص إلى القـارئ وفـق منظـورات التطور التحقيبي لما قبل الحداثة ومرحلة الحداثة وما بعـد الحداثـة. ولـيس الحديث هنا من باب الالتباس، ولكنـه المنطـق الـذي يفـرض نفسـه ولـو بالسؤال؛ فاللسانيات اشتغلت على التركيب والخطاب بوصفهما صـورتي الظاهرة اللغوية، واشـتغلت العلـوم المعرفيـة وعلـم الـنفس المعـرفي علـى الدلالة والتصور، بحثا عن النسق التصوري والذهني، ولكن:

- المؤلف الذي ألّف التركيب ونظمه كما النص والخطاب غائب وإن كان هذا اعتقادا في مرحلة الحداثة، والحاضر هو الـنص /الخطـاب الـذي يقوم مقام صاحبه، والحاضر الآخر القارئ -وهو كيان مستقل آخر-؛ من هنا يكون البحث عن القصد المشترك أو القصد المسـتقل بدلالـة التركيـب النظمي أو محتـوى النص/الخطـاب، وهـو المُتصـوَّر قـبلا في الـذهن عنـد صاحب النص، وقد ظهر تركيبـا نظميـا في المظهـر التـداولي للتركيـب أو النص/ الخطاب . على هذا الترتيب يكون التوجـه الجديـد في اللسـانيات المعرفية إعادة الاعتبار لصاحب النص على خلفية سياق الكلام والـتلفظ، وهو موضوع لم تناقشه اللسانيات بل هـو معرفـة نقديـة، بـرؤى فلسـفية، فتحت نقاشات مطولة لصـراع المـدارس الفرنسـية والألمانيـة والإنجليزيـة، ويفكر جاكندوف الذهني التصوري تدخل المدرسة الأمريكية هذا الصـراع

من باب علم النفس اللغوي وعلم النفس المعرفي، بل من باب العلوم المعرفية.

- في فهم الخطابات والنصوص والتراكيب وإدراك معانيها يتعيّن البحث في قصد المتكلم والوصول إلى ما يُعتقَد أنه رسالة يُراد تبليغها. وقد تعيّن عند لاكوف أن تتدخّل الصوتيات والصرف والتركيب والموضوعات بوصفها نماذج مقاربات معرفية تصنع المعنى. وعند جاكندوف تأكيد على إسهام موجهات الإدراك في تعيين المعاني، ومن ذلك حديثه عن الأسماء والأشياء المجردة والموضوعات والحالات وكلها في "أسس اللغة"[1]، وله في "علم الدلالة والعرفانية" ما يساعد على الفهم كنظرية الحقول الدلالية وفرضيات العلاقات الإسنادية[2].

الأشكال:

[الشكل 1] وتحولاته: الدلالة التوليدية:

Gramm.syntagmatique

النحو التركيبي

Transformations obligatoires-lexique

---

[1]- ينظر هذا البحث، ص 10 و11 و12.

[2]- تنظر ص335 وما بعدها. وعند الزغول والزغول في علم النفس المعرفي ص238-239 ما يجعل المعنى يقع فهمه وفق ما تقبله عملية الصياغة وعملية التوظيف ، ليكون الفهم معادلا لمعاني الكلمات والجمل المضمنة في شبكة العلاقات المعرفية والدلالية. وفي نظري هذا كلام عام يقع على كلّ ملفوظ قائم على حضور المتخاطبين وليس على محتوى النصوص والخطابات.

تحولات ضرورية- المعجم

Phrase nayaux- structure profonde

الجملة النواة- البنية العميقة

Transformations sémantique composante….(signification). facultatives…..compos phonologique(chaine acoustique)

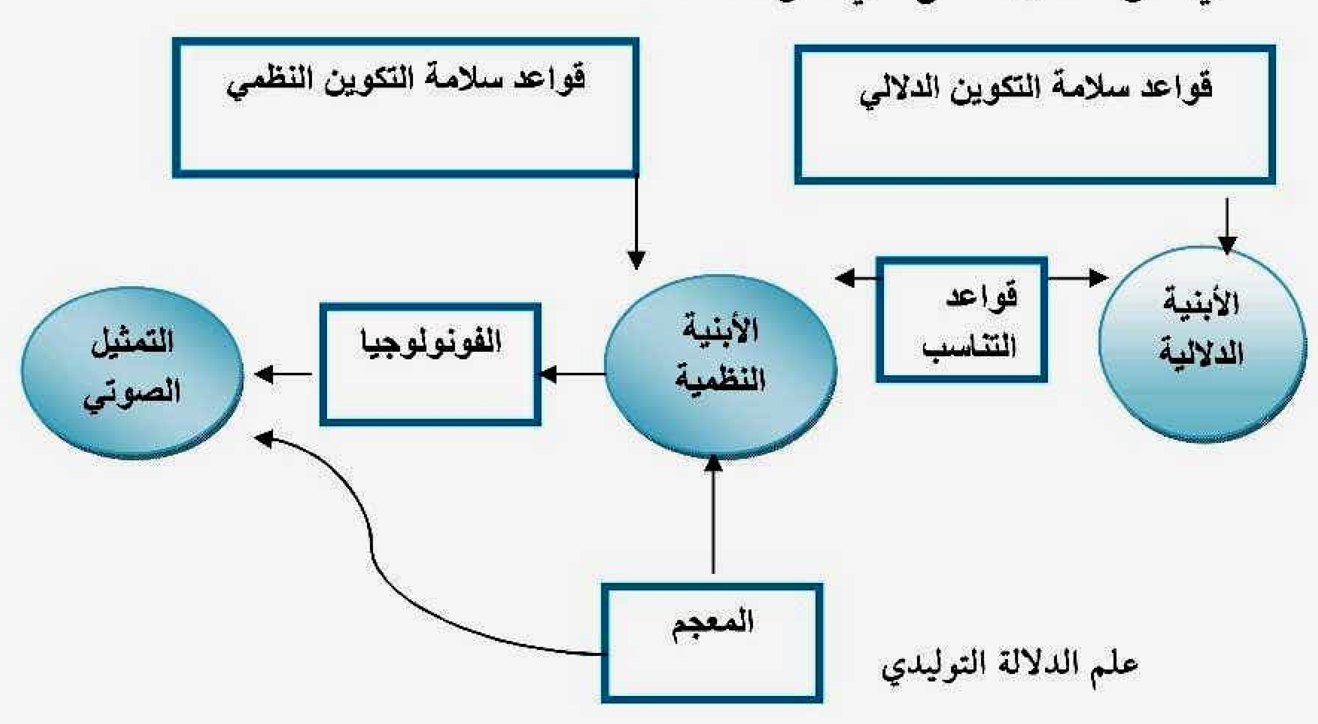
تحولات اختيارية...........المركب الدلالي................................الدلالة (الارتباط السمعي)................المركب الفونولوجي.......

Structure de surface

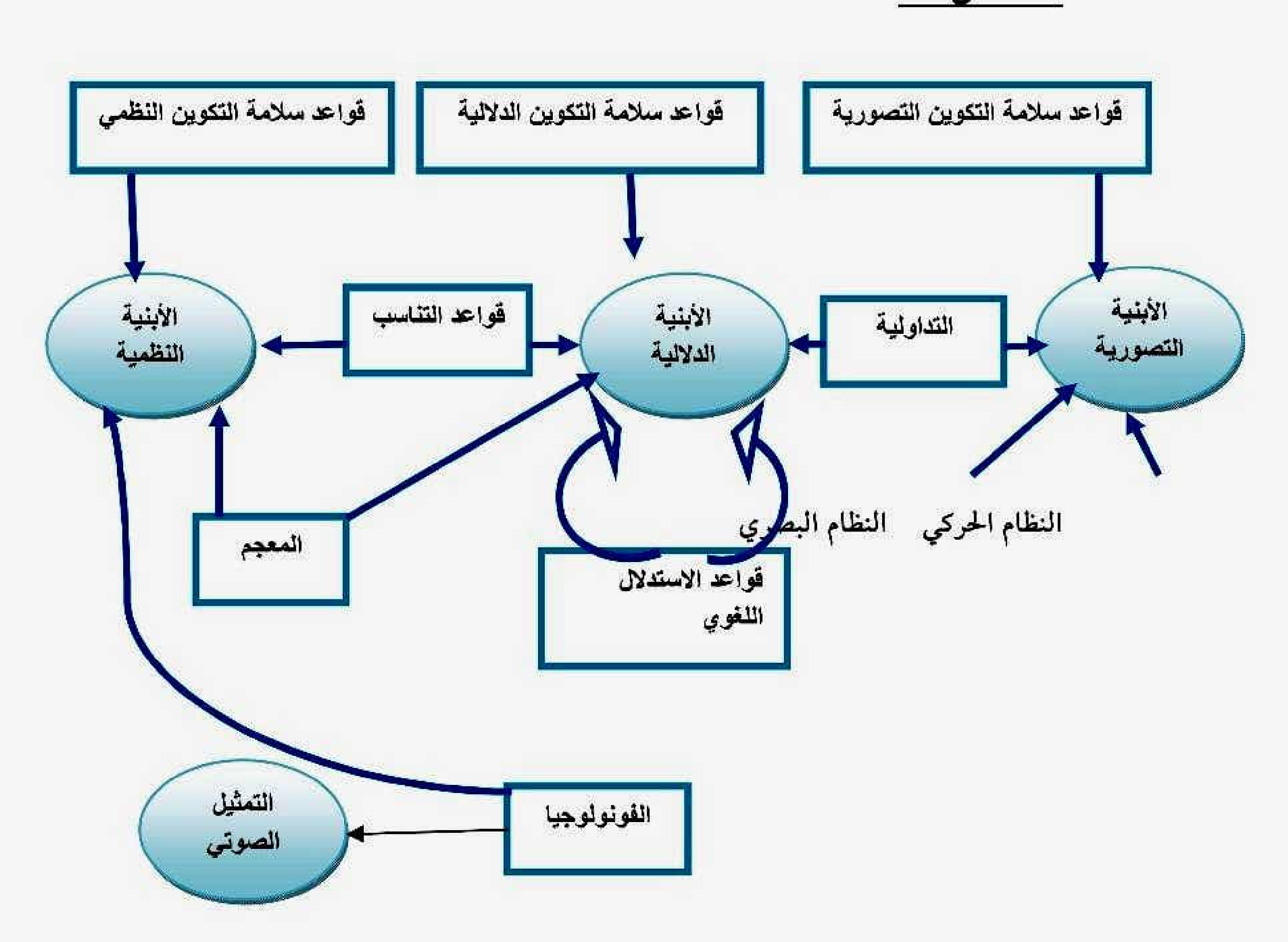
البنية السطحية

<u>Daniele Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage, p488.</u>

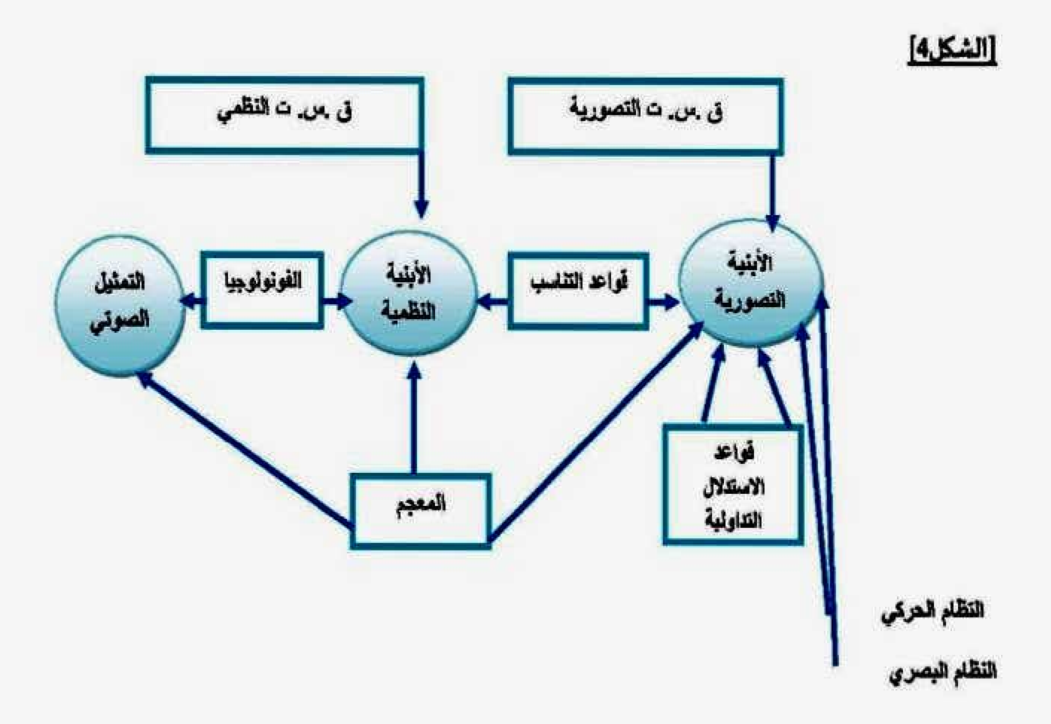
[الشكل 2]: جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص56، والشكل3 في ص74، والشكل4 في ص75 منه



[الشكل 3]


قواعد سلامة التكوين النظمي
قواعد سلامة التكوين الدلالية
قواعد سلامة التكوين التصورية
الأبنية النظمية
قواعد التناسب
الأبنية الدلالية
التداولية
الأبنية التصورية
المعجم
النظام البصري
النظام الحركي
قواعد الاستدلال اللغوي
التمثيل الصوتي
الفونولوجيا

[الشكل4]



[سلوك ذهني و سلوك مادي لغوي = علم الدلالة الذهني التصوري]

خلاصة:

عندما تكون موضوعات توالي الجمل والرسالة والتواصل إخبارا وإعلاما، ويكون تراكم الأصوات واللعب بالكلمات وتشاكل التراكيب وتباينها مداخل نصية، وتكون المقصدية في صورتيها النصية والمجتمعية هدفا خطابيا؛ فإنَّ العوامل النفسية والأعراف الاجتماعية والقيم التداولية تنسجم وتترابط مع البنى النصية القائمة على البنى الدلالية والتصورية وربما التوليدية أيضا، وفي كلّ ذلك خرق الواقع وأفق التوقع وعلاقة كلّ ذلك بالبنيتين السطحية والعميقة وارتباطهما بالواقع المحال عليه. إنّ الماثل

أمامنا في حال التحليل(تحليل الخطاب) هو هذا الذي تمّ بيانه، فأنّى للمحلل بربط هذه الظواهر في صورتها المادية بمكتسبات البنى التصورية والذهنية؟

على هذا يأتي حديث المشيرات والتشاكل والتباين والتكرار والتناص والانزياح والقصدية والتضاد والتناقض والتناظر مساعدات على التحليل بدءًا بالبنية اللسانية سطحيها وعميقها، وانتهاءً بالإحالة على الواقع وملء فجوات الخطاب فهما واستيعابا، وتعاملا مع صور الإبهام والغموض والترميز وفق مجمل التأويل ومفصّله وحرّه إشارةً وإيحاءً، نطقا وسكوتا، اختيارا وتهميشا. وعلى هذا تناقش المقاربات قضايا التحولات والنصية والسياق والقصدية والتواصل والتفاعل والتشابه والاختلاف وتحولات الوظائف والتعرية الفلسفية بوصفها قضايا رئيسة، كما تناقش الغموض والوضوح والآليات المنهجية والإجرائية بوصفها قضايا فرعية تستند إلى القضايا الأولى. لقد أدّى هذا الزخم الهائل من القضايا والمعارف في مجال تحليل الخطاب إلى صراع ثلاثي بين المدارس الفرنسية والألمانية والانجليزية بل والأمريكية ليصبح الصراع رباعيا لا يتعلّق باللغة والانتماء بقدر ما يتعلّق بالمفاهيم النظرية والخلفيات الفكرية.

في هذا البحث استقصاء للعلاقة بين اللسانيات وبعض العلوم المعرفية للوقوف على قضية المعنى والدلالة التي تحملها الخطابات، وكيف يشتغل الفهم مقارنة بالأداء من وجهة نظر العلوم المعرفية، بل علم الدلالة المعرفي على الخصوص ليبيّن رؤية جاكندوف في عمليتي الإنتاج والفهم بوصفهما ظاهرتين لسانيتين الأصل فيهما الذهن والتصوّر.

المعلم الثاني: التخصصات البينية وتحليل الخطاب رؤية جديدة نحو تكامل المعارف.

مقدمة:

انتهينا إلى أنّ اللسانيات بوصفها علما معرفيا يقتضي الاشتغال به معرفة التحولات الحاصلة في بنية التفكير البشري تطورا ومسايرة للواقع الذي يتعيّن فيه الوجود مواكبا للحاجة الإنسانية معرفيا. فإذا حدث التسليم بأنّ اللسانيات علم معرفي-وهو كذلك قطعا-؛ فإنَّ كلّ ما يُعلم ويُعرف هو في الأصل نص/ خطاب، أي مادة لسانية، بما يصنع في راهن الحال طبيعة معرفية تشمل الاستقلال كما تشمل التكامل المعرفي. وهو ما يجعل اللسانيات بهذا الشكل تخصصا بينيا "interdisciplinaire"، وذلك من حيث أنّ البينية موضوعات مشتركة بين تخصصات عدَّة، ومناهج مشتركة بين تخصصات عدَّة أيضا، بما يتطلب تحديدا للموضوعات وتحديدا للمقاربات، ترتيبا حيثيا وتأسيسا للبنيات، تجعل محمولات النصوص موضوعات بينية، وطبيعة المقاربات وكذا تناولها مناهج بينية. بمعنى سيجري العمل على الموضوعات كما سيجري على التخصصات ومقارباتها، والعامل المشترك بينها جميعا هو البينية والاشتراك والتكامل.

فما البينية وما مجالات اشتغالها في تحليل الخطاب؟

وهل يمكن تحديد مفهوم البينية عمليا وإجرائيا من خلال مجالات الاشتغال التي تحدّد واقع الحال؟ أي هل يمكن تبيّن البينية من خلال التخصصات والموضوعات والمناهج والمقاربات.

هل للبينية ذلك البعد الذي يتجاوز نقاء التخصص إلى المعرفة المركّبة والمعمّقة؟

وهل حدث التحوّل بفعل الحاجة والضرورة أم بفعل الفكر البيني وتكامل المعارف اللذين تقتضيهما الثقافة والمعرفة الإنسانيتين؟

البينية : المفهوم ومجالات الاشتغال:

البينية في الموضوعات والتخصصات:

تسعى البينية إلى دمج المعارف وتحقيق التكامل [1] بما يعطي إبداعا في التفكير من حيث الجمع بين الطبيعة النصية الحاملة للمعرفة ومناهج تحصيلها، بعيدا عن المبالغة في رسم الحدود بين التخصصات، وعزل

[1]- الدراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان، 1438هـ/ 2017، وهو تقديم لجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية بوصفها جامعة تكرّس التعليم البيني، ص9-10.

الذات عن التخصص الدقيق [1]؛ لأنّ الهدف من البينية في نظري ينتهي بل يبدأ من تحقيق التكامل بين المعارف، ولـذلك يحـقُّ التسـاؤل عـن طبقـات المعرفة بدءًا من المحمول الأساس لبنية الـنص أي الموضـوع إلى التخصـص الدقيق إلى التخصص العام، ثمّ تعيين مدار الاشتراك مـن حيـث التكامـل والبينية. على أنّه يمكن أن يتمَّ التوقف عند الاستقلال التام لطبيعة الـنص ومحموله والتخصص الوارد فيـه، فتكـون اللغـة وسـيلة والنص/الخطـاب وعاءً والمحتويـات والمضـامين موضـوعات مختلفـة ومتنوعـة في تخصصـات مختلفة ومتنوعة، تتحقّق معها البينية من جهة الاشتراك بين هذه العناصـر: لغة النص ومضمونه والموضوعات المناقشة والتخصص الواردة فيه.

ففي العلوم الشـرعية كمـا في علـوم اللغـة تلتقـي اللغـة والعلـوم الإسلامية، كمـا تلتقـي بـالعلوم الاجتماعيـة والإنسـانية، وكـذا القانونيـة والطبيعيـة [2]. وفي العلـوم اللغويـة ذاتهـا تجـد اللغـة والنقـد والأدب مـن

[1]- ينظر السابق، ص11-13.

[2]- في 24-25/ 03/ 2015 أقيمت ندوة بجامعة مكناس، الكلية المتعـددة التخصصـات بالرشـيدية بعنوان: 'العلاقة بين العلوم اللسانية وعلوم الدين'، وفيها تمّ إبراز صورة التـداخل في الاسـتعمال والتكامل في التحليل والاستدلال، ثم أقيمت بالكلية ذاتها في الفـترة مـن 28-29/ 10/ 2015 ندوة علمية أخرى بعنوان: 'قراءة النص الشرعي وسؤال المنهج' لتبحث في آليات القراءة المشتغلة على النص الشرعي، وفيها تبيّنت العلاقات الوطيدة والتداخلات المنهجيـة بـين المـنهج اللغـوي والمنهج اللساني في معالجة الـنص الشـرعي. وفي 24-25/ 03/ 2016 بكليـة الآداب والعلـوم الإنسانية ببني ملال جامعة السلطان سليمان، أقيمت ندوة دولية أخرى بعنوان: 'تفاعل مستويات اللغة في تحليل الخطاب الشرعي' وهو ما يظهر العلاقة البينية الظاهرة بين المجـالين والتخصصـين.

التقاطعات والبينية ما يجعل المجال الواحد منها وعاءً لباقي المجالات فتجتمع معارف علم الاجتماع والدين والإنسانيات والقانون واللسانيات [1] بما يصنع تقاربا بين العلوم المعرفية والتخصصات البينية، فإذا أضيفت إلى ذلك الحوسبة صار بين الاستقلال والتكامل المعرفيين

وفيها كما في سابقتيها، كان الحديث عن هذا التداخل والتواشج بل قل البينية التي لم تظهر في صورتها الحقيقية كما تبدو الآن. وفي عام 2019 أقيم بجامعة المنيا مؤتمر الدراسات اللغوية والإسلامية حصرا وقصرا، وهو ما يتحقّق معه بالضرورة تكامل المعارف الذي سبقت الإشارة إليه. وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن هذه العلاقات في كتب كثيرة بيّنت هذه الصور كـ'قـراءات في النص ومناهج التأويل' لأحمد مداس ، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، لأردن، ط1، 2018، ص9-41. وله أيضا في 'قضايا في تحليل الخطاب'، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص87-112، وفيها حديث عن مناهج التأويل في التراث وعلاقتها بالاستعمال اللغوي والاستدلال المنهجي والمنطقي. في هذين الكتابين تعالق للعلوم الشرعية من توحيد وعقائد مع فلسفة الطوائف الإسلامية في تحليل وفهم استعمال لغة الخطاب الشرعي، والاستدلال بما يقوم على التوجهات المعرفية والمرجعية في المذاهب ومناهجها. وفيهما أيضا ما يُرفَع إلى الفلسفة الغربية وفلسفة اللغة خصوصا وحديث مطول عن التفكيك والسيمياء والتأويل بوصفها معارف بينية، والتداولية ونظريات القراءة والتلقي بوصفها مناهج تلتقي في موضوعات مشتركة تشكّل مدارات التحليل. وفي كتابه الثاني هذا أيضا ص181-208 حديث عن الترابط المفهومي ربطا بين اللسانيات النصية وموضوعات العلوم الشرعية بيانا لأوجه التداخل بين المعرفتين من باب الترابط المفهومي ودراسات المعنى. وهو لم يُدرج هذه الأعمال في سياق التخصصات البينية الصريح بقدر إدراجها في التعامل مع مضامين النصوص.

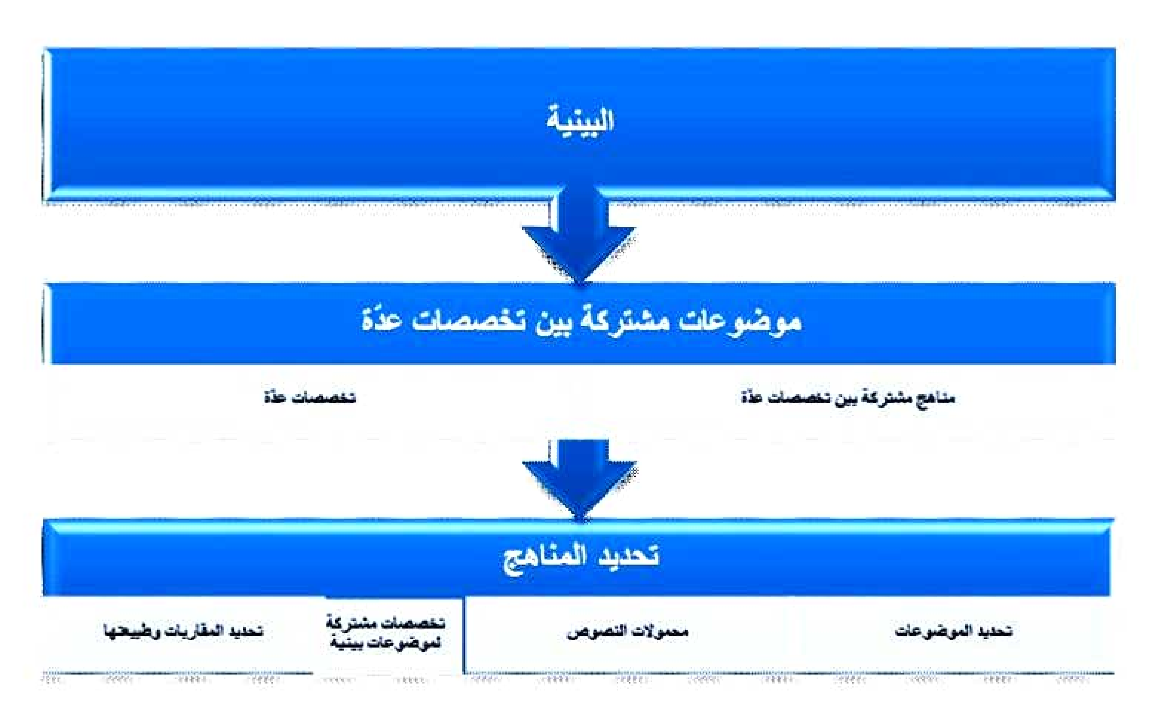
[1]- أقيم في الفترة من 19 إلى21/ 07/ 2016 مؤتمر البلاغة بين النقد والأدب واللغة بكلية الآداب جامعة الطفيلة التقنية بالأردن، وقد تعيّنت البلاغة موضوعا مشتركا بين اللغة إطارا عاما وبين الأدب إطارا خاصا، وبين النقد منهجا للتقويم والمعيارية قديما والوصفية والتحليل حديثا بالانتقال منها إلى الأسلوبية. وقد تمّ تكريس البلاغة بوصفها منهجا قائما بذاته في تحليل الخطاب الشرعي والأدبي. طبعت أعمال المؤتمر في دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017.

صلات انفصال بدلالة التخصص، وصلات اتصال بدلالة التداخل والتواشج والتكامل. إنه بحث في ما يشبه الموسوعية ولكن بتعمق وتدقيق [1].

لقد جرت المعارف البينية على علاقات اللغة بعلوم الاجتماع والنفس والحقوق والفلسفة وعلوم الدين والتاريخ والعلوم الفيزيائية وغيرها. وعلى هذا الأساس؛ فإنّ موضوعا كالتأويل [2] مثلا يجده الباحث في علوم اللغة وعلوم الشرع والفلسفة وبعض مدارات علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية مرّةً موضوعا مجرّدا نظريا، ومرّةً منهجا ومقاربة للفهم والإدراك والاستيعاب، وهو بذلك له وجود متعدد، ينحو إلى البينية.

[1]- تمّ إقامة مؤتمر للدراسات البينية عام 2014 في المملكة العربية السعودية، وأقيمت في13-15/ 11/ 2018 ندوة علمية دولية في التخصصات البينية وتحليل الخطاب الأدبي بجامعة قفصة بتونس. وفي 24-26/ 03/ 2019 أقيم بجامعة الفيوم مؤتمر الدراسات البينية على أساس توسل التخصصات المختلفة باللغة في مناقشاتها لموضوعات علومها.

[2]- في ماي 2014 أقيمت ندوة دولية بجامعة محمد الأول في رحاب الكلية المتعددة التخصصات في الناظور تحمل عنوان: 'التأويل في التراث الإسلامي بين القدماء والمحدثين، جعلت مادة اشتغالها التأويل بوصفه منهجا للاستدلال والفهم، وممارسة في الاعتقاد وبخاصة في باب التوحيد والعقائد.



من هنا تتعيّن طبقات المعرفة البينية في :

-الموضوع الرئيس في التخصص الدقيق

-مناقشة الموضوع نفسه في تخصصات دقيقة أخرى

-تداخل التخصصات وارتباطها بموضوعات بعينها

-الاستقلالية المعرفية(المعرفة المفردة المعمّقة) في مقابل التكامل المعرفي (المعرفة المركبة المعمّقة).

البينية في مناهج التحليل والمقاربات:

بين التفكير البيني interdisciplinaire وتعابر الاختصاصات transdisciplinaire وتعدد الاختصاصات pluridisciplinaire أو poly disciplinaire ومتعدّد الاختصاصات multidisciplinaire تداخلات

مفاهيمية مفادها-كما أسلفت- دراسة موضوعات مشتركة بين المعارف المختلفة، أو تناول اختصاصات متعدّدة لموضوعات بذاتها بما يصنع الرؤية البينية [1] . وإذا كان هذا المدّ على مستوى الاصطلاح كما هي العادة في الدرس اللساني والنقدي المعاصرين؛ فإنّه على مستوى حالة العلوم l'état des arts من حيث البينية، قد أخذ منحى جديدا خالف فيه مبدأ القطيعة ونقاء التخصص إلى مبدأ التعاون والتكامل وتعدد المعارف، بل اقتضى التفاعل والتواصل هذا المنحى بوصفه تحوّلا طبيعيا في إدراك المعارف على مستويات مختلفة، شملت علم الحاسوب وعلم الاجتماع وعلم النفس، وامتدت إلى الإبداع الأدبي شعرا وسردا، ثم تلاقُح الأدب والتاريخ [2] والفلسفة [3]، وفي ذلك وصل للمجالات المعرفية بعضها ببعض لتتيح لها فرص التكامل وتكوين معرفة شاملة عوض الاختصاص الذي يكسر هذا التكامل ويشدّد على الفكر الأحادي، وهذا منحى. المنحى الثاني، أنّ التعليم ومنظوماته يمكنه استغلال هذه الظاهرة لدفع التكرار والإسراف

[1]- ينظر: محمد قماري، التفكير البيني، نحو كسر للحواجز بين الاختصاصات، مجلة مقاليد، العدد14، جوان2018، ص3-8.

[2]- ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني،أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، د ت ط، ص282.

[3]- ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص33-58 بما عنون له بـ: "فلسفة التعرية المعرفية"، في حديثه عن بول ريكور (P.Ricoeur) وهو يناقش "فن الشعر" لأرسطو من جهة الزمان والسرد والحبك، والمحاكاة الثلاثية، وقد جمع بين الأدب والتاريخ والفلسفة.

والتبذير في الجهد الفكري بالاعتماد على الوضعيات البينية المدمجة [1]، بل ويسهم في تكوين نوعي قد تكون له ثماره في المستقبل بعد اعتماده منهجا مركبا في التكوين؛ ذلك أنه بين الآداب والعلوم النفسية (اللسانيات النفسية وعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي وعلم نفس الطفل) وبين السرديات التأويلية والأسلوبية الإحصائية ارتباطات لا تُنكر، ومظاهر البينية فيها لا تُغفَل [2]. وعلى العموم فإنّ التفكير البيني يمتد في تحليل الخطاب أكثر مما في سواه، ولذلك يأتي البحث في هذا المجال أكثر غنى، وأجلّ معرفة، وذلك لمجرد النظر إلى البنى السطحية للخطابات والبحث في محتوياتها ومضامينها ومحمولاتها؛ ذلك أنّ الأصل في كلّ تفاعل أو تواصل معرفي لغة خطاب ما في مجال معرفي ما يتناول موضوعا ما. من هنا تكون لغة النص/الخطاب قاسما مشتركا ترعى فيه البينية وتتطوّر لتخالط- في مستوى آخر- العلوم المعرفية في حالة ترابطها، إن على مستوى الموضوعات المشتركة أو على مستوى مناهج الدراسات فيها، وهي التي تجري على تحرّي المعرفة في الموضوعات المشتركة.

---

[1]- ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص283.

[2]-ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص66 لتقاطع الخطاب الأدبي والخطاب القانوني، ص71 في علاقة الأدب بعلم الإناسة (الانثربولوجيا)، وص82 للبينية والتكوين المدرسي، وص 89 لتعليمية الحجاج، وص 94 لعلم الاجتماع المقارن والبينية، وص 122 لتقاطع العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، ص135 للسرديات التأويلية ، وص136 لعلم النفس والمقاربات البينية، وص 147 للموضوعاتية وعلم النفس الأدبي. وص 157 للتناص بوصفه فكرا بينيا، وفيها جميع ذكر لتخصصات مختلفة تشتغل على مبدأ البينية.

ولو تتبعنا نصا سرديا [1] من جهة مبناه السردي وكيفية تناسقه وانسجامه شكلا، لوجدناه قد أخذ من النقد السردي حظه ومبتغاه كما

---

[1]-ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، اللسانيات والأدب موضوعان معرفيان، مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد2، ص36-47. في هذا المقال حديث عن السرديات المعرفية والسّرد طريقة في التفكير، بل هو طريقة في الكشف والإدراك الذاتي، لأنه كما يقول الباحث السرديات تصور معرفي(ص46). وقد كان لهذا الموضوع شيء من التفصيل عن هذا الاستيعاب وكيفية تمثيله في "قضايا في تحليل الخطاب" لأحمد مداس، ص33-58. إنّ الإدراك والاستيعاب تصوّرا ذهنيا هما محاكاة أولى تقابل المحاكاة الثانية تصويرا وتدوينا وبناءً سرديا يشتغل على قواعد وقوانين الحبك السردي داخل كلّ متّسق.. إنّ فكرة الإبداع تبدأ بالتصوّر فالتصوير، أي المحاكاة الإدراكية فالمحاكاة التصويرية ثم تطرح للقراءة والتناول والإدراك عند الآخرين. والموضوع هنا مناقشات بين دريدا وهوسيرل وريكور وغيرهم. ولإيزر في التخييلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد لحميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص7-29 مباحث مهمة في هذا الطرح يحسن العودة إليها. إنه الإدراك كما يتبدّى للقارئ تماما كالإبداع للمبدع. وقد ذهب إيزر فيه إلى التركيز على المعرفة الضمنية للخيال والواقع من خلال سوسيولوجيا المعرفة الضمنية بوصفها "مخزون المعتقدات التي تبدو قائمة على أساس سليم"، الأصل فيه المرجعية الواقعية التي تعطيه صفة الفهم والإدراك؛ لأنّ "النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخييل، ولذلك فهو يولّد تفاعلا بين المعطى والمتخيّل". تنظر ص7 منه.

وعلى هذا فـ: النص= الواقع(réel)+التخييل(fictif/fiction)+الخيال(imaginaire)

[حقيقة+معرفة ضمنية]+ [مركز عملية التحويل]+ [شكل]

إنّ الواقع يُعاد إنتاجه في النص بعناصر منتقاة يتم التركيب بينها بكشف ذاتي يسري على الإدراك التصوّري كما يسري على الإنتاج والتصوير، وهو ما يكفله التخييل، ليحوّل ذلك الواقع إلى دليل في جبّة الخيالي، بما يساعدنا على تصوّر مرجع الدليل الخارج نصي بوصف هذا العمل إبرازا للأنساق المتصارعة وكشفا عنها في واقع ما، ليُحكم على ما في النص في ضوء ما هو غائب على أساس التخييل بالكشف الذاتي الذي يعيّن عناصر بعينها تُنتَقى ويتمّ التركيب

أخذ من النقد اللساني صورته، وبينهما تلعب العوامل والعلاقات السردية السيميائية دورها في بلورة جودة الطرح والعرض. وإن تتبعناه من جهة مبناه الدلالي، لوجدناه مدًّا إيديولوجيا وصراعا معرفيا وصوًّرا تتعانق وأخرى تتعارض لتقدّم الموضوعات إلى القارئ مجسّدةً في أفعال الشخوص وسلوكاتهم وفي الأحداث التي يشاركون في بنائها تكميلا لبنيات الموضوعات كما هو الحال في البرامج السردية رئيسيّها وفرعيّها.

فمن ناحية أولى تتعيّن **البينية** في "فضاء واحد يحشد مختلف اللغات ومستويات التركيز والقيم والإيحاءات...داخل النص"[1] لتتعايش من خلال العلاقات القائمة بينها بوصفها عناصر النص المتناقضة[2]. ومن ناحية أخرى تتعيّن **المعرفية/ العرفانية (cognition)** من خلال العملية العلائقية التي تحوّل وظيفة اللغة الدلالية إلى وظيفة التصوّر[3]، بما يجعل

بينها لإظهار الواقع في علاقته بالنص والمرجع الخارجي. ولأنّ المعنى هو العملية الدلالية التي تجعل تجربة الخيالي ذات معنى لدى القارئ؛ فلا بدّ أن يحقّق النص واحدة من المعادلات الآتية: عالم النص "كما لو كان" الواقع، أو "كأنه" الواقع، أو "كما لو..." تكون له علاقة بالواقع، وهو فعل تصوّري ذهني خالص، بما يعالقه بالفهم والإدراك المعرفيين على أساس التعبير والتمثيل، والتصوّر والتصوير بما يصنع البينية بين البنية النصية اللغوية/ اللسانية والمحمول الدلالي ومضامينه وتضميناته المرجعية والإيحائية. تنظر ص8-12 منه.

[1]- ينظر : إيزر، التخييلي والخيالي، ص15. إيزر في هذا الكتاب لم يذكر مطلقا البينية ولم يذكر المعرفية وإنما بالوقع والتشابه والتحليل يجوز لنا هذا الفهم وهذا الإدراك.

[2]- ينظر السابق، ص15.

[3]- ينظر السابق، ص17.

عالم النص الذي سبقت الإشارة إليه من حيث الإدراك والمحاكاة والتخييل والتلقي والقراءة عملا ذهنيا تصوريا خالصا، تعبيرا وتمثيلا وتفسيرا على مستوى المرجع والواقع، وعلى مستوى البنية النصية واللسانية.

ويبدو أنَّ الهدف في نهاية الأمر ينتهي عند بناء المعرفة على أساس التكامل، وتصبح العلوم المعرفية نسقا بينيا يهتم بسيرورات اللغة بالدرجة الأولى في استعمالاتها اللغوية [1]، وذلك من مناحي متعدّدة، أحدها اشتراك كل المعارف في التمثيل اللغوي، والتضمين المعرفي ومرجعية الأنساق المعبّر عنها مع إيزر [2]، والثاني تقاطع المعارف في دراستها للموضوعات المشتركة، والثالث استدعاء الموضوعات بوصفها مضامين التخصصات المعرفية/ البينية إلى محاورتها ومناقشتها بما يتيح تكاملا معرفيا يقوم على تضافر التخصصات كالفلسفة والمنطق وعلم النفس المعرفي والانثروبولوجيا والبيولوجيا وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، وهو ما يؤسس لتفكير مفهومي في دراسة العقل الإنساني واستعداداته وكفاءاته التي تتيح له الفهم والتحليل والتأويل وتَمثُل المعرفة وتمثيلها [3]، بما ينتهي

[1]- ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص13.

[2]-ينظر: إيزر، التخييلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ص17.[لفظ الانطروبولوجية هكذا ورد في الكتاب المترجم، فحافظت عليه كما هو. العادة أن يُكتَب : الانثربولوجيا].

[3]- ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص12. وفي ص14 من مقاله يعرض مفهومين للعلوم المعرفية ينتهيان عند التفكير البيني: أولهما لفريدنبارغ G.Friendenberg وفيه: "العلوم المعرفية هي الدراسة العلمية المتداخلة الاختصاصات للعقل".وثانيهما لدانيال أوندلار D.Andeler ومفاده أن العلوم المعرفيةتُضم تنويعة من العلوم والمقاربات بهدف تقديم تفسير علمي متكامل

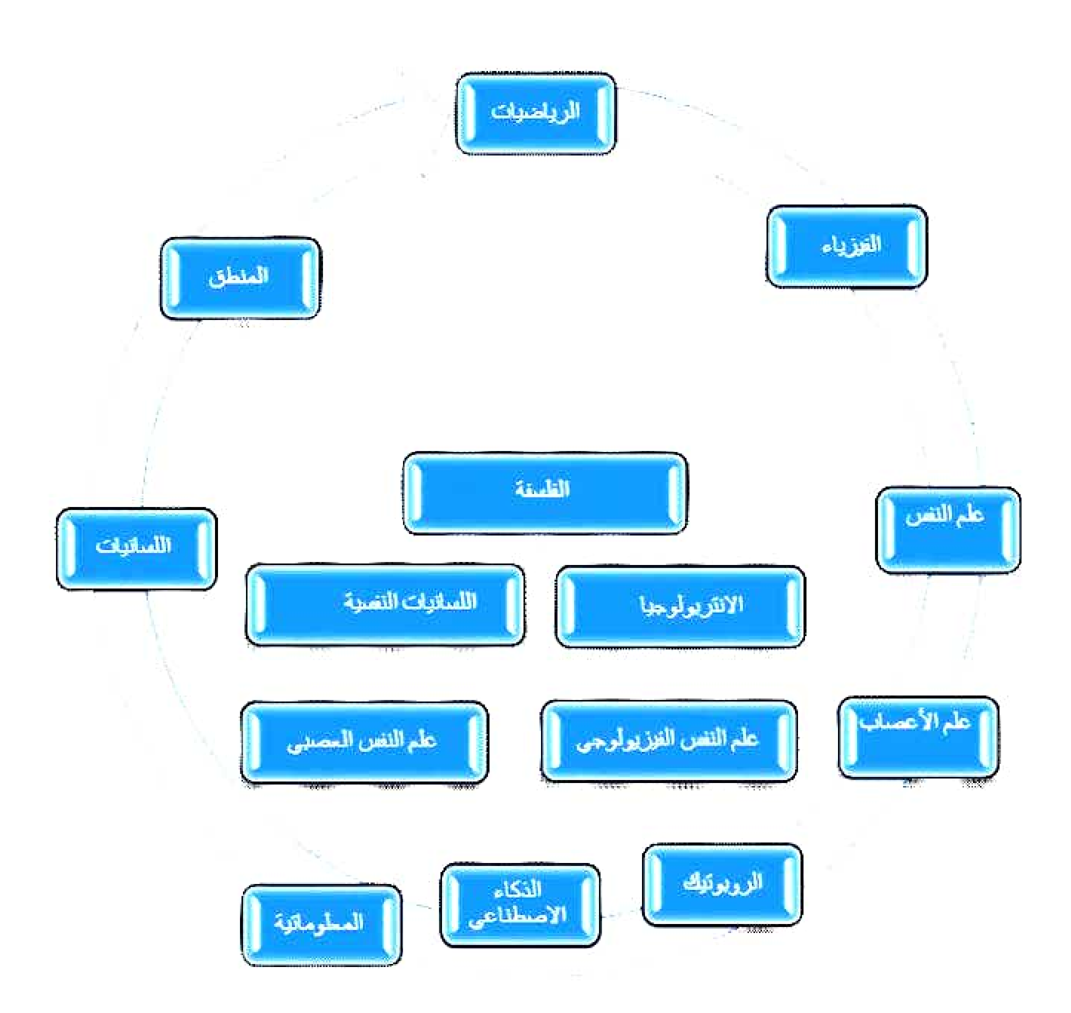
إلى التفكير البيني من حيث تنوّع العلوم وتنوّع المقاربات التي تشتغل على العقل والإدراك والفهم على مستويات مختلفة مع الإبداع والإنتاج ومع القراءة والاستيعاب والتحليل والتفسير. من هنا، ومن خلال تضافر التخصصات وتضافر المفاهيم في البحث عن المعرفة التصورية والذهنية والدلالية تماهت الحدود بين العلوم المعرفية وبين التخصصات البينية، وبخاصة حينما يكون موضوع البحث هو المعنى [1] في نقاش اللسانيات واللسانيات التطبيقية وعلم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي، وهو ما يظهر في التشابك المعرفي كما في الشكل A، ثم في التشابك المعرفي ذي الواجهة النصية أو الخطاب في مبناه اللغوي ومضامينه المعرفية التي تؤسس للمعرفة من حيث الاستقلال أو من حيث التكامل والتضافر كما في الشكلB .

للعقل، حالاته وعملياته ووظائفه". ولا يخفى التداخل الجامع بين التخصصات البينية ومجالات اشتغالها.

أكّد بيتر سلوترديك في الانثرو تقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، تر: أماني أبو رحمة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحوث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، 2015، ص11 على الحياة المكانية من خلال تكاثف العلوم الإنسانية والاجتماعية والانثربولوجيا وعلم الآثار والعمارة والاقتصاد والتعليم والتاريخ والقانون والسياسة وعلم الاجتماع والسياسة الاجتماعية. ومن هذه العلوم يمكن تحديد علامات الحياة المكانية. وفي نظري يعمل هذا التداخل بين العلوم والمعارف على بلورة ما سماه "مدينة الرغوة" في تداخل فقاعاتها المعرفية بين ثابتها وزائلها.

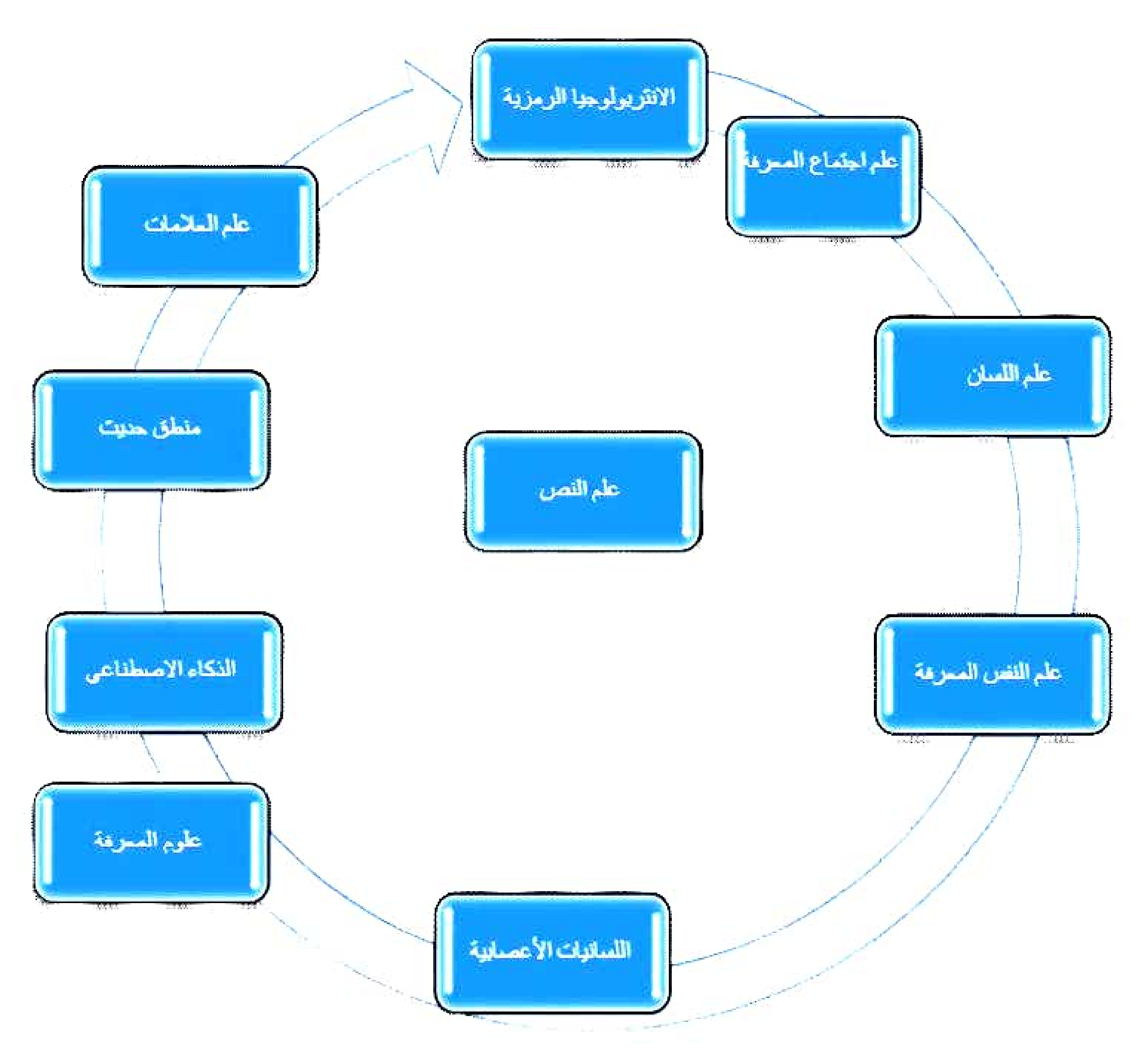
[1] – ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص23.

الشكلA[1] :



[1] -D.Andeler, sciences cognitives, encyclopedia, Universalis, V65. نقلا عن بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص37.

الشكلB [1]:



إنّ النظر إلى المجالات المعرفية المبيّنة في الشكلA يجعل الفلسفة في تشابكات معرفية مع الفيزياء والرياضيات والمنطق، ثمّ مع اللسانيات وعلم النفس وعلم الأعصاب والذكاء الاصطناعي والمعلوماتية، ليكون

[1]- شيفر جون ماري، الفن في العصر الحديث، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص462. نقلا عن بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص38.

علم النفس الفيزيولوجي وعلم النفس العصبي في تماه شبه تام مع اللسانيات النفسية والبعد الانثروبولوجي. وكلها علوم ومجالات بحث ترتبط بالإنتاج اللساني. وهو عينه الإنتاج اللساني الذي يتكئ على اللسانيات العصبية، ويستند إلى الانثروبولوجيا الرمزية وعلم اللسان وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي في التحليل والفهم والإدراك. وليس لكل هذه المظاهر المعرفية إلا مادة النص/الخطاب، ليتيح علم النص لهذه المعارف التضافر، ويعطيها شرعية الاشتغال عليه [1]، وهي مجالات الشكل B.

وإن كان لا بدّ من تفريق بين مجالات الدراسة في العلوم المعرفية ومثيلاتها في التخصصات البينية؛ فإنّ الأولى تعنى بالذهن وطرائق التفكير والإنتاج والفهم والإدراك وتفسير كلّ ذلك، في الوقت الذي تأخذ فيه المعارف البينية الاشتغال على الظواهر المادية وشبه المادية التي تعبّر عنها الخطابات وتمثّلها بحثا في الواقع والتخييل والخيال والمعارف التضمينية بما يفسّر الوارد في الشكلين A وB من جهة البنى النصية إنتاجا وتحليلا وقراءةً، حين تتفاعل الأجناس داخل بنية التهجين الأجناسي hybridation générique بما يعطي خطابا بينيا يشكلّه تفاعل الأجناس والتناص والبنية

[1]- ينقل بشير إبرير عن ذهبية حمو الحاج قولها: "تكمن أهمية العلوم المعرفية في دراسة طرائق الاشتغال المعرفي للذهن"ينظر: مدخل إلى العلوم المعرفية، ص37. وقول ذهبية حمو الحاج، في التداولية المعرفية، فصول، عدد100، ص339. وقد صدقا معا.

النصية [1] ، ويظهر **التناص** في الموضوعات والأجناس داخل البنى النصية مظهرا بينيا؛ لأنّ افتراض الباحثة قائم على تشكّل الخطاب البيني من النص والتناص وتفاعل الأجناس بما سمّته التهجين الأجناسي(خطابية- أجناسية- نصية). وفي هذا الطرح عودة إلى أعمال جون ميشال آدام J.M.Adam في تفصيله لموضوع النص والخطاب ومكوناتهما.

في هذا الفضاء المعرفي يمكن استقبال مُؤَلف صالح بن رمضان: التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها. وقد بدا لي -إن فهمت ما قدّمه صالح بن رمضان - أنّ البينية عنده في توارد طرق متعدّدة في الجنس أو العلم أو الشكل المعرفي الواحد [2] ؛ فإذا نظرنا في طرحه قضية الآخر وآفاق البينية في الشعرية الحديثة، بدت البينية تقابلا بين الأنا والآخر. وفي طرحه لقضية الزمن الحدودي في الشعر الرومانسي، بدت البينية عنده تنوّعا لفضاءات الرغبة والتأمل والحرية والانعتاق [3]. وقد اعتمد التحليل لبيان وجوه البينية برؤية ذاتية بعيدة المأخذ والمنال، يمكن أن ينالها البحث البيني. إنّ الاعتداد بالموضوعات في

[1]- ينظر: نسيمة عروس، في الخطاب البيني، خواطر نظرية من وجهة نظر المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد27، ديسمبر 2016، ص70. والتناص فكر بيني كما ذكر صالح بن رمضان في التفكير البيني ص157، وهو مدخل مهم من مداخل تحليل الخطاب.

[2]- ينظر: التفكير البيني، ص198.

[3]- ينظر السابق، ص199-207.

اشتراكها بين التخصصات بينية ظاهرة، ودراسة التخصصات لموضوعات من وجهات نظر مختلفة هي من صميم تلك التخصصات، وهي بينية ظاهرة، ولكن طرح بن رمضان هنا هو أشبه ما يكون بتوالد الصور وتكاثفها في ظل موضوعات بذاتها. وبذلك يأتي فيه شيء من الغموض يقطع وضوح الشكل البيني الذي نودّ التعريف به، وهو ذاته يؤكد وجوده على امتداد بحثه [1] ، كما أكّد صورة تنوّع المناهج في تناول المادة العلمية كحال الأمثال [2] في الدراسات البلاغية والدراسات الأنثروبولوجية، ليتمّ الجمع بين القول والإنسان والطباع والهوية والأخلاق.

وفي هذا الإطار كان بيتر سلوترديك(P.Sloterdick) قد أكّد على فكرة التنوّع المنهجي من خلال الجمع بين المنهج والزمان والمكان بوصفهما وجودا والمعرفة بوصفها محرّكا داخل هذا الوجود [3] من خلال

---

[1]- تنظر ص40 من هذا البحث، الهامش 2. وقد تحدث صالح بن رمضان في التفكير البيني عن مقاربات بينية وموضوعات بينية تشتغل عليها التخصصات العلمية مستشهدا بآراء غيره من الباحثين. تنظر ص256-262 وقد تعيّن فيها الحقل السيميائي مشتغلا على تقاطع التخصصات(رشيد الإدريسي)، واللسانيات وتمازج التخصصات (المسدي)، والمعارف الحضارية وتقاطع العلوم الإنسانية(كمال عمران). وقد أشرنا إلى غير هذا في مواضع أخرى.

[2]- ينظر التفكير البيني، ص161 وما بعدها.

[3]-ينظر: بيتر سلوترديك،الانثروتقانات، ص12-13. وينظر في التجربة العربية صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص116 عن تحليل الخطاب وآفاق البينية، وص127 للسانيات والأسلوبية، وص130 للسانيات الإدراكية والفكر البيني. وهو كثيرا ما يجمع بين التخصصات والموضوعات والمناهج ويؤكد على طبيعتها البينية. سنعود إلى هذا الموضوع مع التجريب و القياس، والتجربة الفردية في حينه. وهو مبحث قد يأتي في أعقاب هذا وقد نفرد له مقالا خاصا

الانتروتقانات، بما يسمح بإنتاج الحقائق مع ظهور نوع جديد من المشهد المرقمن [1]، وقد تحوّلت الحال من إنتاج الكائنات/ الأشياء(objects) إلى التركيز على إنتاج العوالم (worlds) [2] داخل ما سمّاه **بالعزلة المترابطة** [3].

كما كان زيجمونت باومان(S.Bawman) [4] قد خرج إلى فكرة الميوعة القيميّة وتشوه أشكال القيمة، لتبقى غير محدّدة الشكل المعرفي، بما يسبب عقما في الفهم والاستيعاب؛ ذلك أنّ القيّم بتحولها إلى الطبيعة السائلة تأخذ الأشكال التي تجري فيها عوض شكلها الطبيعي القائم على المبدأ والمثالية والامتثال بما يبيحه المنطق والعقل والالتزام. وإن كان من العقل والمنطق أن تجري القيم السائلة في المجاري الطبيعية السابقة والتي تحتويها وترتضيها وعاءً لسيرورتها بمجرد التحوّل الذي يسري على صفة التمظهر المختلف الذي تقتضيه الطبيعة السائلة. للفيلسوف الحداثة السائلة والحب السائل والسلطة السائلة و....وكل السوائل القيمية تقتضي أن تكون موضوعاتها قابلة للتأقلم مع مناهج دراستها بقوة الطبيعة الأصلية

به. المهم أنّ للألمان رؤية تاريخية في نظرية القراءة والتلقي مفادها تتبّع التاريخ والتعامل مع التلقي طلبا للقراءة الصحيحة في مقابل القراءة السيئة، وتفعيل ثنائية الاختيار والتهميش.

[1]- ينظر: بيتر سلوترديك،الانثروتقانات، ص13.

[2]- ينظر السابق، ص14.

[3]- ينظر السابق، ص11.

[4]- ينظر الحداثة السائلة والحب السائل. وسيأتي الحديث عن هذا لاحقا.

والطبيعة التي آلت إليها بما يجعل البينية تصوّرا ذهنيا ووجودا ماديا أمرا محتوما وقابلا للتناول والدراسة والإدراك المفرد كما الإدراك المركّب.

يصحّ هذا الكلام بجمع القيم المعنوية بالطبيعة المادية، فإذا صارت الحداثة -وهي موقف- سائلةً، وصار الحبّ -وهو إحساس- سائلا؛ فإنَّ لازم السيولة أن تأتي على صوغ القيم والمواقف بما تجري فيه، و بذلك يمكن أن ترى الشيء وضدّه متلازمين بما مقتضاه معرفة ومعرفة مضادة تعطيان معرفة مركّبة على أساس التعارض، كما يمكن لها أن تكون على أساس التكامل. فلو درسنا الحداثة تاريخا وفلسفة، ودرسنا الحبّ ظاهرة نفسية لها انعكاسات أدبية وفنية، فإنّهما في نهاية المطاف موضوعان بينيان يدرسان في تخصصات مختلفة يمكن أن تستقل، كما يمكنها أن تتكامل، ويستفيد بعضها من مخرجات البعض الآخر معرفة مركّبة وفق منظور مقاربات متعددة ومناهج تحليل مختلفة تسري على الموضوعات التي تتجاذبها التخصصات المتنوعة.

بينية الحوسبة في تحليل الخطاب: من فاعلية الدماغ البشري إلى فاعلية الحاسوب (البينية المركبة)

وفي البحث الدلالي تلوح الحوسبة من جهة الشبكة الدلالية برؤيتيها التعليمية والتحليلية على مستوى الفعل والقول وعلى مستوى تضمين الفعل في القول وعلى مستوى الفعل الناتج عن القول، وكلها مباحث تداولية تشتغل على الدلالة مضمونا ومحتوى وعلى الحوسبة منهجا

للتحليل، بما ينتج عنه الطبيعة المعرفية لعلوم الحاسوب في تعاملها مع النصوص الخاضعة أصلا للسانيات وهي علم معرفي. وبذلك تلتقي العلوم المعرفية من جديد من جهة الحوسبة في تحليل الخطابات إن على مستوى الملفوظات أو على مستوى دلالاتها تعيينا حقيقيا وإيحاءً إضافيا.

يقتضي البحث في هذا المقام استكمال المبحث الدلالي بالخروج من الطبيعة البشرية ممثلةً في الإدراك التصوري والذهني باعتماد قواعد المنطق وهندسة التوازي وكلّ ما له علاقة بالميزات البشرية إلى البحث الدلالي باستعمال برامج الحاسوب والذكاء الاصطناعي. وفي هذا الطرح موضوعان؛ أولهما الدلالة في البحث في مضامين ومحتويات النصوص. وثانيهما الحوسبة بوصفها منهجا للتحليل بتغذية سابقة للمعطيات تيسّر الحصول على النتائج بحسب الأوامر المعطاة طلبا لتحليل ينحو الموضوعية، ويجيب قدر الإمكان عن أسئلة الاستعمال اللساني وفهم ملفوظاته وإدراك محتوياته ومضامينه.

إنّ موضوعية النتائج في هذا الصدد تجري على لغة النص/الخطاب على أساس كيفيات أداء المعاني والدلالات، وهو مبحث يخص اللسانيات المعرفية عموما. والمبحث الآخر يخص علم الدلالة التوليدي وعلم الدلالة التصوري/الذهني، ويعنى بالمعاني والدلالات، وهو ما يتعلّق رأسا بمضامين ومحتويات العلامات في حالة استعمالها في سياقات بذاتها وفق

منطق تعيين المقاصد على وجه الخصوص، وهو مبحث يخصّ اللسانيات المعرفية أيضا.

من هنا؛ يأتي حديث اللسانيات الحاسوبية وما دخل في زمرتها من قبيل اليونيونبيديا بوصفها شبكة دلالية لها قواعد وأسس ذات رؤية تعليمية، وأخرى تحليلية، وكلاهما تتأسس على التداول والاستعمال القابل للقياس والملاحظة والتحليل. وهو ما يسري على الفعل وما يتضمنه وما ينتج عنه.

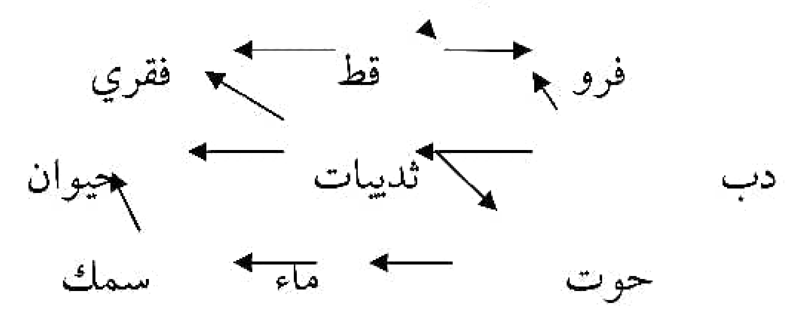
إنَّ هذه الوجهة الثلاثية هي التي قد توحي بطبيعة الشبكة، ومفاد الموضوع الصيغة التشاركية والصفة المركبة للأقوال والملفوظات بما يعطي مركزا تحيط به مسارات تترابط وفق منظور الانتماء والنوع والامتلاك وطبيعة الحركة، بما يجعل الشيء معلوما في صورته المعجمية، ومعلوما في صورته السياقية ذات المقصد التداولي.

الشبكة الدلالية [1] صورة مسجّلة مخصّصة لتمثيل المعارف، وتتعلّق بالمفاهيم (concepts) وبالأشياء(objets) على أساس الذاكرة الدلالية ومن خلال التعيين بـ : هو/ is a-is an/est un. له/ has/a. نوع من/ A kind of/Sorte de، كما يمكن إضافة علاقات من نوع الحركة(mvt)، فيكون

[1] - W.A.Woods , foundations for semantic, 1975.
- R.Jackendoff, semantic structures, the MIT press Cambridge. Mass., 1990.
-J.F.Sawa, encyclopedia of artificiel intelligence, 1987.

اللفظ داخل الشبكة علاقة رباعية، تشتغل على المفاهيم والخصائص والوحدات وتكاملها بتطبيق مختلف قواعد البيانات من منظور ما.

والشبكة الدلالية شبكة دينامية تحقّق في التشكيل الموالي تصنيفا وتمثيلا للمعارف مختزلا تحصل به الفائدة الدلالية:



إنّ الصورة الدلالية المختزلة(abstract semantic graph) واختزالا [A.S.G] شكل تركيبي تُمثَّل فيه العبارة بصورة أو تشكيل، وذلك وفق المعطيات اللسانية وهندسة برمجة اللغة وترجمتها. وعليه؛ فالصورة الدلالية المختزلة نمط تركيبي مشجّر مختزل يمثّل العلاقات الدلالية. وهو يبعث على استخدام مقاربة قاعدة البيانات الدلالية لفهم معنى المعلومات. كما يمكن استخدام قواعد بيانات متعددة.

تتخذ الشبكة الدلالية مظهرين: أولهما تعليمي تربوي، ينحو منحى التعليميات عموما، ويجري على تقصي الشيء من خلال الكلمة، أو المعنى من خلال التركيب. وثانيهما منهجي بحيث تتضافر المعارف

المنهجية [1]، وتأخذ مخرج الذكاء الاصطناعي والحوسبة اللغوية بما يحقّق كثافة معرفية. وفي المظهرين تكاتف وتضافر المنهج والمنهاج، وهو في العملية التعليمية عموما يحقّق غرض وجوده واستعماله وتغييه بغرض الوصول إلى نتائج أفضل. إلا أنّ مدار البحث هنا هو البحث في تيسير الفهم والإدراك، ليعود الموضوع إلى نقطة البدء. غير إنّ الاحتكام في هذا الوضع إلى التحليل السيمي القائم على كفاءة الحاسوب وبرامج التحليل الخاص يجعل من المنهج صورة متطوّرة تفوق ما أنجزه الإنسان، وذلك بمقارنة كفاءته بكفاءة الحاسوب وقدرته، بما يسهّل التحليل ويعطيه أبعادا أخرى نحو الأعمق والأجود والأدق. وهو ما يحقّق موضوعية أعلى، لا يعكّر الاتفاق على نسبتها العالية غير ذاتية البرامج بوصفها وضعا بشريا قائما على المنطق المعقول.

ويدخل في هذا المجال قواميس المعاني الإليكترونية [2] المستعملة في الترجمة بالبحث في المعاني السياقية داخل الاستعمالات اللغوية الممكنة،

[1]- ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص101 لتعليم اللغات، وص 104 للترابط النصي، وص110 للتوثيق الاليكتروني، وص111 للفضاء الاليكتروني واللغة العربية، وهو يتحدث عن المنظومات المعرفية الحديثة. المهم في الموضوع تقاطع اللسانيات والحوسبة بينيا وهما معا علمان معرفيان.

[2] -https://fr.globe.com variété.
https : //dictionnaire.reverso.net.
https://context.reverso.net français-arabe
https :www.almaany.com
https://www.larousse.fr français-arabe.

ويبقى على الإنسان اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب في السياق والتركيب المناسبين. يقوم هذا العرض على فلسفة الاحتمالات الممكنة في الاستخدام اللساني للملفوظات في صورتها التداولية. وصحيح أن يحقّق هذا الطرح حلولا جمّة في تحليل الخطاب [1]، ولكن لا يخفى وجود مشاكل أخرى تضطلع علوم الحاسوب بحلّها، ومن ذلك عدم القدرة على الإحاطة بكلّ الاستعمالات بما يجعل البرامج مفتوحة على نوافذ البيانات التي تغذي الحاسب الآلي في تعامله مع الأوامر المعطاة لتغطية الطلب الدلالي. وهذا شكل آخر من البحث الدلالي المتعلّق بتحليل الخطاب في نظري.

وفي الحوسبة صورة منهج متطور أساسه التحليل الحاسوبي للظاهرة النصية يمكنه إلى حدّ الساعة الإجابة عن الإشكالات المطروحة في التحليل

الأصل في كلّ هذه المواقع التعامل وفق منطق النصوص المترجمة والترجمة في السياقات المختلفة ويبقى على الإنسان الاختيار والتهميش.

وقد أنجز الزملاء في تونس منذ فترة طويلة برنامج معجم الطبيعة في الشعر الأندلسي، ومفاده: كتابة [10 كلمات× 10أسطر×عدد الصفحات]، ومنه تتحدّد النسبة الكلية، النسبة الجزئية، التناسب، أو عدمه، بما يسمح بالقراءة والتأويل والتصنيف. ويمكن اعتماد التحليل السيمي ولكن حاسوبيا، كما يمكن حوسبة تحليل الجمل عند ج م آدام، ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2009، ص144 و155 .

[1]- يمكن ملاحظة الحوسبة وتحليل الخطاب والتداولية والترجمة في عمل متكامل؛ ولذلك فقد نقاء التخصص بريقه، ليحلّ محله تكامل المعارف، أو على الأقل حاجة التخصص الواحد إلى ما يعضده.

والفهم بموضوعية تتجاوز كلّ مظاهر الذاتية انتقاءً وشموليةً [1]، كما تتجاوز مظاهر التجربة الفردية [2]، إلا أنه يكرس التجريب والقياس [3]، ويفعّل المقارنة، بما يعيدنا إلى جمالية الطرح البشري من ناحية، ومن أخرى يعطي مقاربة تجمع بين التحليل الحاسوبي والتأويل البشري، ليبقى نموذجا ينحو إلى القبول بالكيفية التي تجعل منه منهجا من مناهج تحليل الخطاب قائما على الكفاءة الحاسوبية والكفاءة البشرية معا.

ما يبدو لي في هذا المقام -حفاظا على التجربة الفردية، وبحثا عن الموضوعية- هو صورة منهج لتحليل الخطاب فيه لمسة الإنسان والآلة معا على مستويات تصاعدية، تبدأ بالتعليم وهو أدناها باتجاه القراءة وهو أعلاها، وبين النمطين يسر وسهولة يقتضيهما التعليم والتعلّم، وإبداع وتفرّد وتميّز، وكلّ ذلك من مقتضيات العلم والنقد والكشف.

يخضع المظهر النصي لعمل الحاسوب وبرامج المعالجة، بما يبيح فعل التحليل فالتأويل والقراءة. ولذلك يأخذ هذا العمل منحى تعليميا ذا استراتيجية تربوية، ومنحى آخر ذا استراتيجية عالية، وكلاهما يشتغل على

[1]- الانتقاء قيام المقاربة على عنصر دون غيره في خطاب بذاته. والشمولية تعمل على تقصي التحليل في الخطاب كلّه.

[2]- التجربة الفردية ميزة لمقاربات ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة، وأساسها مقاربة متفرّدة لا تعتمد نموذجا سابقا لا محاكاة ولا مشابهة، فلسفة اللامنهج.

[3]- التجريب والقياس ميزة لمرحلة الحداثة، وهي تقوم على محاكاة نموذج سابق، تأخذ منه السلامة المنهجية وشرعية الوجود، بمعنى إثبات الشيء على نموذج سابق.

التحليل والقراءة والتأويل عملا بمبدأ: (فهم/ استيعاب/ إدراك مجرد/ إدراك عال). وعلى هذا يبدو في هذا النمط التحليلي تنوّع معرفي وإدراك متميّز يعطيان معرفة متكاملة في وحدة النص/ الخطاب بسياقاته المختلفة ومقاصده بالتعيين والتحديد.

خلاصة:

على هذا؛ تنتهي البينية عند بحث المعنى المحمول في ثنايا الخطابات، حيث تفيض في المضامين والمحتويات، كما تنتهي عند المنهج في صورة الإدراك عند المحاكاة وفي صورة الفهم والاستيعاب عند القراءة والتفسير والتحليل والتأويل. وقد حاولت في هذا العمل التوفيق بين تفسير الظاهرة الأدبية بين قدم النصوص وحداثة فهمها، عملا بمبدأ التداخل المعرفي والبيني بين المعارف بما يصنع تشكيلا معرفيا يعيّن قدر المستطاع مواطن التماس ومواطن التباعد ومواطن التقارب بين المعرفي والبيني، وهما ظاهرتان لا يخلو منهما نص ولا يغيبان في تحليل منهجي بمجرد الجمع بين البنى الحاملة ومحمولاتها الدلالية. ولا يخفى في هذا التصوّر معنى المعرفية الذي يتقاطع ويتماس معها إلى حدود التماهي والانصهار.

فالبينية تداخل المعارف في فهم وتعيين الحقائق والظواهر، على مستوى الموضوعات ومناهج دراساتها ومناقشاتها، وفي تحليل الخطاب حدثت تحوّلات بالجملة من البنى اللسانية إلى محمولاتها المضمونية، وفي المجالين معا تجلت صور المناهج وطرق الإدراك والكشف والمقاربة. من

هنا؛ صار ممكنا تحصيل مفهوم الفكر البيني من خلال مجالات اشتغاله نظريا وإجراءً تطبيقيا، وهو ما ارتبط بالتخصص في علاقته بالتخصصات الأخرى وموضوعاتها ومناهجها ومقارباتها، وصار كلّ ذلك مهدا يبيح ممارسة الفكر البيني وفهمه بوصفه تكاملا للمعارف في إدراك الحقائق النصية والمعرفية، بل صار للبينية ذلك البعد الذي يتجاوز نقاء التخصص إلى المعرفة المركّبة والمعمّقة، وهو ما حدث بفعل الحاجة والضرورة من جهة، وبفعل الفكر البيني وتكامل المعارف في الثقافة الإنسانية جميعا. ولعلّ بينية الحوسبة هي البينية المركّبة التي تلتقي فيها كلّ المعارف البينية في تقصّيها للظواهر اللغوية والخطابية إن على مستوى الخطاب في اللغة الواحدة أو الخطابات في اللغات الكونية بالتقابل والترجمة وتبادل المعارف درايةً وروايةً.

المعلم الثالث: مناهج تحليل الخطاب

من التجريب والقياس (التقييس والنظر) إلى التجربة الفردية

مقدمة:

في تعاملاتنا اليومية نجد صعوبة في فهم سلوكات ومواقف غيرنا إذا كنا نقيم حياتنا على مبادئ ثابتة، تُحترَم وتُحاكَى ويُسعى إليها أولا وأخيرا، وغيرنا يقيم حياته على التغيّر والتبدّل وفق الظروف والمعطيات والمصالح؛ ففي النمط الأول قياس على المُجرَّب الذي ثبتت إلى حدّ ما صلاحيته ويُعتَقَد اتزانه ومعقوليته لموافقته الأصل المحاكى، ويكون في اتّباع آلياته ووسائله المنهجية والإقناعية ما يحقّق نموذجا ما، فيه من التكرار ما فيه ومن الاختلاف ما فيه، ولكنه في جميع الحالات يأخذ استقامته وشرعيته من نموذج أو نماذج سابقة، وهو قائم على التجريب والقياس، الساعي إلى الانتظام والثبات، بل إلى النّظام.

وفي النمط الثاني صياغة وبحث من غير نموذج سابق، بل يجري مجرى الانتقاء الذهني لعناصر تشكّل تركيبا بذاته [1]، ويعطي قراءة مستقلة لا تستند إلى آلية ولا إلى منهج بنمط صوري ما، إنها التجربة الفردية

---

[1]- ينظر: إيزر، التخييلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد لحميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص10. الانتقاء والتركيب يتمّان بالكشف الذاتي.

البحتة، التي لا سند لها سوى المعارف السابقة في وضع مدمج، وما تثيره من استجابات إليها في البنى النصية بما يقوم دليلا عليها، ولها في البنى المعرفية نسيج يلائم بعضه بعضا ، فيظهر شكلا متّسقا مترابطا، أو يبدو كذلك، وهو يبحث في أبعد الصور الممكنة بما يحقّق التّميز والعمق، ولا ننكر أن يتحققا-التميز والعمق- مع النمط الأول، إلا أنّ الثاني يجري رأسا على المحتويات والمضامين من غير نموذج سابق ولا نمط يُحاكى، وإن ظهر عليه التغيّر والتّبدّل وحتى الاضطراب. ويجري الأول على ثبات المنهج وتتبّع مدارات النصوص بحثا عن بناء مقاربة فيها سمات غيرها بوصفها نموذجا أو نماذج سابقة تأخذ منها الشرعية وتأخذ منها الانتماء.

على هذا؛ يأتي التقابل بين النمطين محقّقا التشظي والتباعد والاختلاف الإدراكي معرفيا ومنهجيا، ويأتي الجمع بينهما في رؤيا واحدة إما مخيّبًا لكل أمل في حصول توافق بين القراءة ومتلقيها، وإما مستوعبا لفهم كليّ ، وهو نمط ثالث. ويندرج النمط الأول في مرحلة الحداثة، والثاني في مرحلة ما بعد الحداثة، بينما الثالث في مرحلة ما بعد بعد الحداثة.

التجريب والقياس في مقاربات مرحلة الحداثة:

ممارسات ذاتية فردية وتجريب قابل للقياس..

تقوم البنيويات والأسلوبيات والسيميائيات على تجريب مقاربات سبق تطبيقها على نصوص سابقة، وهي بذلك تتأسس على القياس والنظر [1] من حيث المشابهة في المقاربة ومداراتها بما في ذلك المداخل النصية العامة المشتركة والمداخل النصية الخاصة [2] التي تميّز كلّ نص عن باقي النصوص الأخرى، ومدار الفعل والممارسة والمقارنة.

وعلى هذا تكون صورة التجريب والقياس والنظر على التشابه والتكرار [3] بغرض الوصول إلى محاكاة النموذج، وتحقيق التميّز والاختلاف بجودة التطبيق. وبين المدى الأول-التجريب والقياس- والمدى الثاني -المحاكاة والتميز- تقليد واتّباع يُراد منهما تحقيق صورة تنحو إلى التميز بوصفها مقاربة عامة لنص خاص أو لنمط خاص من النصوص.

---

[1]- ينظر: محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط1، 1999، ص

[2]- ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ص19. والعام المشترك الصوت والمعجم والتركيب وهي في كلّ النصوص، والخاص من المداخل سمة بنيوية أو أسلوبية وسيميائية في نص دون سواه.

[3]- ينظر: جيل دولوز، التكرار والاختلاف، تر: وفاء شعبان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص48، وصص83-89.

والحق أنَّ هـذه النمطيـة سـرت علـى مقاربـات الحداثـة، وكلّهـا تقتضـي التجريب على منوال سابق.

أدّى هذا التجريب قياسا ونظرا إلى تكرار بيّن على مستوى الشـكل مقاربةً وبنيةً نصية؛ فعلى مستوى المقاربة، فإنَّ لهـا مـدارات قـارّة، والبنـى النصية لها مكونات عامة، فتكون المقاربة في الأخير صورة عن سـابقتها لا تختلف عنها إلا في اختلاف طبيعة النص أو اختلاف المؤلفين بمـا يحقّـق في آخر المطاف تكرارا في المقاربة قد يصل حدّ الاستنساخ، وهـو مـا يقتضـي النظر في تطويرها والتفكير في مقاربة تختلف عن سابقاتها لتحقيقها اختلافا في القراءات شكلا ومضـمونا [1]. وهـو مـا لم يحـدث إلا نـادرا، في مقابـل التكرار الذي يحدث دوما مع كلّ مقاربة، الأمر الذي لم يجعـل الاخـتلاف ظاهرا بقدر ظهور التكرار.

إنَّ الحديث عن التميّز والاختلاف درءًا للتشابه والتكرار، وبحثا عـن التجديد والتنويع والابتكار بعيدا عن التقليـد والاتّبـاع هـو الـذي عجّـل بالانتقال إلى مرحلـة مـا بعـد الحداثـة الـتي لم يربطهـا بمرحلـة الحداثـة إلا الممارسة الذاتية والفردية إنتاجا مع المؤلف، وقراءةً ومقاربةً مع القارئ؛ إذ كلاهما ينسج على غير نمـوذج سـابق ممارسـةً فرديـة، إلا أنّ الحاصـل في

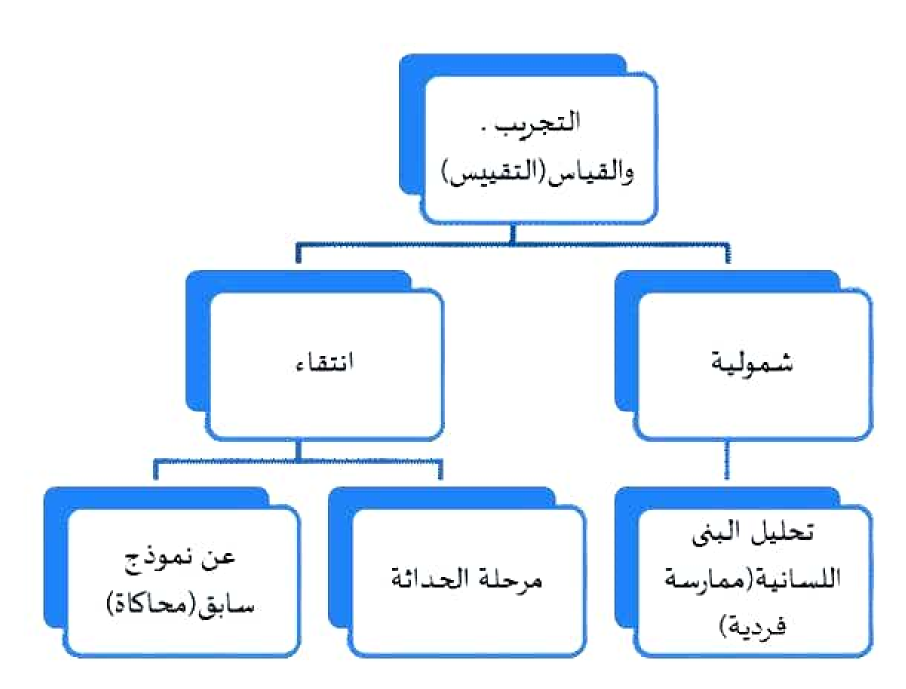
[1]- ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص15-18، متحدثا عن النموذج المقلَّد والنموذج شبه الأصيل والنموذج الأصيل والفروق بينها على أساس التشابه والاختلاف في شكل المقاربة ومضمونها.

المنجز النقدي المعاصر أعطى على امتداد زمن طويل التجريب والقياس والنظر والمقارنة منهجيا على مناويل سابقة، ليكون وجه التفرد متعلقا بالنصوص في تفردها وفي خصائصها التي تنمُّ عن اختلاف يميّزها عن غيرها من النصوص. ولو أنّ القارئ نظر في البنى اللغوية والسردية والإيقاعية، وقاس وجودها في نصوص على وجودها في نصوص أخرى، وأجرى اللازم من المقارنة، لأدرك وجود نمطية تتكرّر بذاتها، وأدرك بصعوبة الاختلاف بين المقاربات ونتائجها من حيث النسب والميزات والسيمات الأسلوبية، أو العلامات السيميائية عل تشابه طبيعي في المكوّنات البنيوية.

وعلى هذا، فليس غريبا أن يُلحظ تكرار حديث المستويات في التحليل البنيوي، وتكرار سيمياء العنوان والتناص والتشاكل والتباين في التحليل السيميائي، وكذا تكرار التكرار والميزات الأسلوبية والكلمات المفاتيح والانزياح في التحليل الأسلوبي، على تماه بيّن بين بعضها والبعض الآخر؛ كحال التكرار أسلوبيا، والتشاكل سيميائيا، أو حال الانزياح أسلوبيا والاستبدال سيميائيا تناسبا بين التحليلين. وهو الوضع الذي عجّل بظهور مرحلة ما بعد الحداثة التي اُعتمدت فيها التجربة الفردية.

ولعلّ في هذا الوضع ما يدعو إلى نمطية ابتكار مفادها الجمع بين المقاربات تفاديا للتكرار وبحثا عن الاختلاف؛ من هنا جاءت الأسلوبية السيميائية مع ميشال ريفاتير في نظري، وكذا البنيوية الأسلوبية، وهذا نمط

يستقرّ على مخرجات الحداثة. والنمط الثاني يجمع بين مخرجات الحداثة ومخرجات ما بعد الحداثة ليُعلن ظهور مرحلة لاحقة في تحليل الخطاب، وهي مرحلة ما بعد بعد الحداثة وللقارئ أن يتأمّل الجمع بين البنيوية والتشريحية كما فعل الغذامي، أو التركيب كما فعل محمد مفتاح أو اعتماد رؤية فردية تعتمد السيمياء البصرية كما فعل محمد الماكري كما سيأتي بيانه.



التجريب والقياس في ممارسات تحليل الخطاب وإجراءاته النقدية:

في التجربة الغربية الفرنسية بالتحديد يأتي عمل جون ميشال آدام (J.M.Adam) [1] وعمل كاترين كاربرات أوريكيوني(C.K.Orécchioni) [1]

[1] - textes types et prototypes, récit, description, explication, et dialogue, Nathan, Paris, 4è édition, 2001,p 21-28.

في هذا الإطار قدم الباحث صورة تحوّل الخطاب إلى نص ومدارات المقاربة اللسانية التي تجري على البنية اللسانية ومحمولها الدلالي. في لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم

في صورتيهما اللسانية التي تشتغل على مجمل الخطابات الأدبية وفق نموذج التواصل برؤية شمولية تأتي على كل مكوّنات النص لتجيب في نهاية المطاف عن سؤال الفهم والإدراك القائم على النصية وجودة بناء الخطاب [2]. إنّ الذي يتبادر إلى الذهن هاهنا هو وجود نموذج للتطبيق، ومراقبة مدى نجاحه بعد التجريب والقياس. لا يخفى المدّ اللساني الذي أثر في مقاربات الحداثة النقدية، ولذلك يجد القارئ تناوبا للمعرفتين اللسانية والنقدية في هذا المقام، لا لشيء سوى أنها مرحلة مهدت لمراحل بعدها تخلت عن التخصص الدقيق باتجاه تكامل المعارف وتضافرها.

وكذلك فعل هنريش بليت في الدرس النقدي الغربي في كتابه **البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص** [3]؛ فقد وقع التركيز على الانزياح بوصفه تركيبا بلاغيا وسمة أسلوبية تركيبية ودلالية ثم علامة سيميائية، لتكون المقاربة المعطاة نموذجا أصيلا يمكن محاكاته لتحقيق صورة

الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2009، لأحمد مداس مناقشات لمحتوى الكتاب من منظور النصية في اللسانيات النصية، تنظر ص15-17.

[1] - l'énonciation de la subjectivité dans le langage, librairie Armond Colin, Paris, France, p17-30. وفيها مناقشات لنموذج التواصل الجاكوبسوني مع تعديله بالنظر إلى نموذجي التشفير والتأويل واستثمار الكفاءات اللسانية وشبه اللسانية والإيديولوجية والثقافية وكون الخطاب، والسعي وراء الهدف الخطابي الذي يشتغل على تمظهرات ومعتقدات وسلوكات المتلقي. ينظر للزيادة أحمد مداس، لسانيات النص، ص56-58.

[2] - ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص، ص3-7.

[3] - ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو منهج سيميائي لتحليل النص،تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

التكامل المعرفي منهجيا والشمولية في الطرح والمعالجة بنيويا، وهو ما لم يصرح به تصريحه بالبلاغة والأسلوبية والسيمياء والحجاج. وقد يبدو حديث الانزياح موجّها إلى الانتقاء ولكنه الانزياح الذي يطال الصوت والمعجم والتركيب والنص، بما يرفع النموذج إلى الشمولي العام بدل الانتقائي الخالص والخاص.

وفي طرحه يعطي النموذج التركيب النحوي صورا سيميو-تركيبية تتعلق بالصّور السيميو-دلالية والصّور التداولية، وهذا أساس النموذج المعطى لتتصل به صور فونولوجية وصور مورفولوجية وصور دلالية على أساس التشابه والمجاورة، وصور أخرى نصية، وهو ما يعطي البعد الشمولي على الرغم من قيامه على انتقاء المكوّنات النصية [1].

لم يأت هذا النموذج إلا من بعد مسح المقاربات السابقة والتأكد من السلامة المنهجية الجامعة بين الأسلوبية والسيميائية، والعمل على مقاربة البنية النصية كاملةً، وقياس بعضها على بعض ، لاستنتاج هذا النموذج القابل للقياس والتجريب تعليما وإبداعا على أساس الانزياح.

وفي عمل مجموعة انتروفارن في **<u>التحليل السيميائي للنصوص</u>** [2] النهج ذاته القائم على الشمولية في الطرح ومعالجة كلّ مركبات النصوص والخطابات ممثلةً في السردية وبرامجها ومؤثراتها وموجهات التلفظ،

[1]- ينظر السابق، ص13 وص65-66 وص70-71 وص76-77 وص95 وص99

[2] - Groupe d'Entrevernes, analyse sémiotique des textes, introduction, théorie, pratique, presses universitaires de Lyon, éd du seuil, 1997.

والمركب الخطابي والأدوار والموضوعات فيه، مع مناقشات للتشاكل ووحدات الدلالة والمربع السيميائي. وفي هذا شيء من الشمولية التي تقتضيها الدراسة التي تروم الإحاطة بالنص من جهة. ومن جهة أخرى، نمطية التقييس وإمكانية التجريب بدليل سلسلة التمارين الإجرائية التي يقاس نجاحها على جودة التطبيق بالمقارنة والقياس بعد التجريب [1] على أساس تقديم نموذج يُحاكى، ويُقاس عليه من منظور سيميو سردي خالص.

وفي التجربة العربية؛ ظهر كتاب **دليل الدراسات الأسلوبية** [2] نموذجا نقديا يقدّم نمطا قابلا للقياس يجمع بين التحليل الأسلوبي والتحليل النفسي، وهو جمع قديم بين أعلى مناهج التحليل السياقي وثاني مناهج التحليل النسقي، وهي الفكرة التي استشرفت الوجود البنيوي التكويني في صورته العربية، سواء أكانت بقصد أم من دونه، ولكنها

[1] -ibid, p68-100-145.

[2]- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص19-22. وينظر للتطبيق: أحمد مداس، لسانيات النص، ص140-142-143-151-153-155-156 وفيها تطبيق مدارات هذه المقاربة في شقها الأسلوبي الشعري على التركيب الشعري، مع اعتماد تداخل الأجناس وتحوّل النص الشعري المحض إلى نص يروي حكاية ذات متتبعا الهندسة التركيبية ودلالات الإغراق في السلبية أو الانتقال من وإلى السلبية/ الإيجابية في الشعور والإحساس مقارنةً بالقول الشعري. وتنظر ص192 و193 لمراقبة التعالق الزمني بالانحسار والاتساع النفسيين، وتعالقهما بالحسين السحري والمأساوي تبعا للحدث والصراع الدراماتيكي في بنية النص.

حقّقت في نظري شيئا مقبولا من المقاربة التي تهتدي بالموضوعية النصية والذاتية في التحليل والمقاربة؛ مما أعطاها بعدا منهجيا أهّلها لتكون نموذجا للتحليل يصدق على النص الشعري والسردي معا وكلاهما –في مرحلة لاحقة- قاما على السردية والشعرية معا؛ أي سردية الشعر وشعرية السرد مع منهج يمكن تجريبه، وقياس لاحق المقاربات على سابقها.

وظهر كتاب كمال أبوديب **الرؤى المقنعة** [1] مع مرحلة الحداثة العربية باعتماده منهج التحليل البنيوي على الشعر الجاهلي، محقّقا قفزة نوعية في ربط الأصالة بالمعاصرة، جمعا بين النص العربي القديم والمنهج البنيوي في صورته الحديثة التي أعطت مقاربة غنية رفعت قيمة الملفوظ الشعري العربي، لتحقّق من خلال قاعدة الضبط الذاتي أبعادا معرفية لم تسجلها الدراسات القديمة ولا كتب الشرح التي اعتنت بالملفوظات من غير وضعها في السياق الإنساني للإنسان العربي قبل الإسلام، وإن تمّ الوضع، فإنّ الغرض منه لم يتحقّق، لأنّ الشرح يضع القيد قبل التّصور ممثلا في القصد والسياق السابق للتلفظ، فلا يقول النص إلا ما تمّ تقريره من قبل.

قد يظهر الموضوع بهذا الطرح تجربة فردية لم تُسبَق- وهي كذلك-، ولكنها ممارسة فردية عن نماذج غربية سابقة، زادها أبو ديب غنى بمعرفته

---

[1]- ينظر: كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

السيميائية التي لم يخبر عنها في كتابه، ولكنها تظهر في ممارسته الإجرائية، الأمر الذي أعطى لمحتوى الكتاب قيمة أعلى. وفي فعله هذا لم يخرج عن مخرجات مرحلة الحداثة باعتماده البنيوية منهجا منفردا، أو البنيوية والسيميائية منهجا مركبا، وللمنهجين معا في الثقافة العربية نماذج سابقة في الثقافة الغربية، ولذلك يبقى هذا النموذج نسخة عربية غير مسبوقة، لتكون نموذجا تُحاكيه كلّ دراسة لاحقة، ليقع القياس بعد التجريب.

لقد قدّم كمال أبو ديب نموذج الشمولية الطاغية والتحليل البنيوي النموذجي الذي يجري على مجمل مكوّنات النص بفعل التوجه البنيوي الذي لا يُغفل مكوّنا لوجوده بالقوة في التشكيل العام للنصوص، وبناءً على ذلك الوجود، يكون له الدور اللساني الذي يؤديه في البنية اللسانية النصية، والدور البنيوي الوظيفي الذي يؤديه داخل التركيب العام للمكوّنات النصية، ومن ثمّ يخرج إلى طبيعة القصائد من وجهة نظر البنى النصية الكلية مجرّدةً عن ناظميها.

وفي الدرس السيميائي المعاصر قدّم عبد المجيد نوسي نموذجا للتحليل السيميائي الشمولي للخطاب الروائي [1]، يأتي على عوامل التواصل، والعنوان والبرامج السردية أساسيّها ومساعدها، ليخلص إلى الربط بين

[1]- ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية-التركيب-الدلالة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1423هـ/ 2002م. وللتوسع ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص 86 وما بعدها.

التركيب السردي والعمليات الدلالية. وفي عمله هذا موافقة لدراسات سابقة عربية وغربية توجب المقارنة والقياس، لأنها تقوم أساسا على التجريب والتقييس على مناويل سابقة في الثقافتين الغربية والعربية، رأى فيها شيئا من التفرد والتميز بناءً على تفرد وتميّز النصوص المطَّبّق عليها في الإجراء، ويمكن مقارنتها بمنتج سيميائي آخر من المنبت نفسه، حين ننظر في كتاب **سيميائية السرد** لمحمد الداهي [1]؛ الذي يقدم نموذجا يتلاءم وطبيعة النصوص المُطبَق عليها، بمنهج سيميائي يروم بيان فكرة التطويع في علاقات النص بالقارئ لأهداف وغايات يقررها محمول النصوص السردية. ولأنّ تجربة نوسي ومحمد الداهي في التحليل السردي السيميائي من نموذج أصيل أو شبه أصيل [2]، فإنّها تقوم مقام النموذج الذي يمكن محاكاته، بالتشابه في الطرح المنهجي، كما يمكن مشابهته بالطرح المنهجي عند غيرهما ممن سبق في التصنيف في هذا الإطار المنهجي والمعرفي. ولا شكّ في اختلافهما، لأنه الاختلاف الذي يصنع التنوّع ويبيح المعرفة.

إنّ الظاهر هاهنا ممارسة فردية في إطار منهج يفرض آلياته ومستويات التحليل فيه، ومهما اختلفت النماذج الأصيلة والمقاربات المرموقة؛ فإنها لا تقوى على أن تكون إلا تجريبا وقياسا على سابق، ولكن من غير

---

[1]- ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد، بحث في الوجود المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009.

[2]- ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، ص86 وما بعدها مناقشا آليات التحليل عند الباحثين.

ضرورة التطابق معه، لأنّ الهدف هو التنوّع داخل حقل المنهج، وتحقيق الاختلاف الذي يسهم في التأسيس للنماذج الأصيلة وشبه الأصيلة، وأما المشابهة التي تكرّس التكرار فهي لغير مثل هؤلاء من الباحثين.

وفي إطار الممارسة الفردية قدّم عبد الملك مرتاض في كتابه **التحليل السيميائي للخطاب الشعري** [1] قراءةً مركّبةً تروم الشمولية في الطرح، وتعالج مكونات النص، ولكنها قراءة تتتبّع المداخل النصية وما يمكنه الاستجابة للتحليل السيميائي من تشاكل وتباين وتماثل وقرينة ورمز وحيّز. وعلى الرغم من فكرة التركيب المنهجي، وملاءمتها للتحليل إلا أنّ هذا الطرح لا يعدو أن يكون ضمن إطار التجريب والقياس، على ما للرجل من فضل ودراية وتمكّن لا يمكن بأي حال تجاهلها، وهو كذلك هنا يقدّم نموذجا أصيلا في المنجز النقدي العربي يمكن القياس عليه، كما يمكن قياسه على المنجز النقدي الغربي، بفعل التجريب الذي يقتضي أسبقية المنوال.

وقد ركّز على حداثة الطرح حيث الجمع بين المعرفة اللسانية والسيمياء لإخراج قراءة نقدية تنحو فكر التركيب المنهجي [2]، وتتقيّد

---

[1]- ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001.

[2]- ينظر السابق، ص7-9، وجاء حديثه عن الرؤية الحداثية في ص18 منه وكان قد سماها سابقا ص9 باصطناع القراءة المركبة. وله في قراءات أخرى مقاربات تعتمد التجربة الذاتية ، وقد تقيّد فيها بالإطار الزمني لما بعد الحداثة، نحو: "أ/ ي، قراءة بنيوية تشريحية لقصيدة أين ليلاي".

بصرامة العلمين معا، وهما يبحثان في الكشف عن جمالية النص وخصائص نسجه[1]. كما ركّز على الانتقاء من حيث هو كشف ذاتي لدى القارئ؛ فكان التشاكل والتباين مستوى أولّ، فالحيز والتحييز مستوى ثان، قبل أن يجعل من المماثل والقرينة مستوى آخر يجري فيه على تتبع المعجم والتركيب بما يوحي بدلالات تتطلب عمقا في الطرح وإشارة حتى تُفهَم وتُدرَك كما ينبغي لها أن تُدرَك وتُفهَم. فإذا ركبنا بين هذه المستويات الانتقائية لا شكّ أننا سندرك أنَّ شمولية في الطرح لم يعلنها الباحث كما أنه لم يعلن الانتقاء، ولكنّ الحاصل لا يلبث أن يميط اللثام عن وجود مكتسبات لسانية سابقة وأخرى سيميائية سابقة فيهما من الصرامة والتقيّد ما يلزم المتعامل بهما أن يقيس على منوال سابق ويجرب ويقارن ويحكم على مدى نجاح الممارسة واستجابة النص لها، خاصة في الدرس النقدي العربي المغاربي الذي انفتح على نظيره الغربي.

وفي الدرس الأسلوبي المعاصر قدّم سعد عبد العزيز مصلوح في كتابه <u>في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية</u>[2] نموذج التفسير الكمي

---

[1]- ينظر السابق، ص15-22. نهج هذا النهج محمد مفتاح في المغرب، في كتابه: في سيمياء الشعر القديم، مستعينا بالمعاصرة الغربية في إعادة قراءة التراث الشعري الأندلسي على سبيل التجريب والقياس(سيمياء-حداثة)، ثم ما لبث أن تحوّل في كتاب تحليل الخطاب إجراءً قبل أن يتجه رأسا إلى بناء المنهج في مرحلة ما بعد الحداثة وفق متطلبات التجربة الفردية كما سيأتي في هذا البحث. وقد نهجا معا في مقاربات عدة التجربة الفردية بعد مرحلة التجريب والقياس.

[2]- ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/ 2002م.

للظاهرة الأدبية الجمالية، بفعل انتقائي ينحو إلى الشمولية؛ إذ يبدأ بالخاصية الأسلوبية إحصاءً، معينا مقاييس الوصف، مع تحديد النتائج وتحليلها كما يفعل الأسلوبيون، وهو ما يؤكد فكرة التجريب والقياس في مقاربات مرحلة الحداثة التي منها الأسلوبية في صورها وأنماطها.

قد يكون في تتبع مصلوح للظاهرة الأسلوبية [1] شيء من الانتقاء، ولكنه الانتقاء الذي يجري على علاقاته بباقي الظواهر الأسلوبية الأخرى المشكّلة للنصوص ذاتها، بما يجعلها تنحو الشمولية في الطرح على أسس انتقائية.

ويشكل لافت قدّم محمد الماكري، في "الشكل والخطاب، مدخل إلى تحليل ظاهراتي [2] شكلاً للمقاربة على أساس السيمياء البصرية، من حيث الاعتناء بالفضاء النصي بياضا وسوادا وتوزيعا [3] لعلاقة ذلك بالذات وأحوالها، ذلك أنّ الكتابة وصف للحال ومداواة لها، فيكون تحليل البنية الخطية فيه ما يصنع على الأقل أفقا للتوقع يخص الظاهرة الشكلية في علاقتها بالكتابة صورةً وخطاً.

---

[1]- ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، ص93 وما بعدها، متحدثا عن الآليات المنهجية والإجرائية عند سعد مصلوح في هذا الكتاب تفاديا للتكرار، وتأكيدا على إضافة فكرة الشمولية والانتقاء من منظور التجريب والقياس في مرحلة الحداثة.

[2]- ينظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991.

[3]- ينظر السابق، ص102.

إنّ الذي دأب عليه هنا هو اعتماد السيمياء كما أسّس لها بيرس (C.S.Pearce) وفي فعل تواصلي تبليغي إعلامي [1] حيث الموضوع مباشر ثابت أو متحرك دينامي، بما يعطي طبقات تبدأ بالمباشر وتنزل المؤول الدينامي الأول والثاني، وينتهي عند المؤول النهائي الأول على أساس الافتراض(abduction) فالمؤول النهائي الثاني الاستقرائي (induction) وأخيرا المؤول النهائي الثالث الاستنتاجي (déduction)، وتجري العملية التأويلية على تقصي الظاهرة بمنظور سيميائي فيه من المنطق ما فيه، وفيه من الطاقة ما فيه؛ ذلك أنّ المسألة متعلقة بتمثيل الظاهرة [2] في فعل الكتابة وإعادة إنتاجها في فعل القراءة [3]. وهذا مدار المقاربة والمنهج.

وأما مدار المداخل النصية والسمات البصرية فقد أقامها على نظرية الأشكال (الجشطالت/ gestalt)، فجعل من حاسة البصر وسيلةً للإدراك والقراءة والفهم، تتقصّى أثر الشكل من حيث العلاقة الجدلية بين الكل والأجزاء، ثم ينظر في العمق والشكل مساحةً ومسافةً وألوانًا [4] ، وفق

[1]- ينظر السابق، ص55-56.

[2]- ينظر السابق، ص41. وقد تعيّنت سمات الظاهرة في الأولانية أي وجود الشيء أو الذات في ذاتها، وفي الثانياتية بوجود الشيء وجودا فعليا متجسدا، وفي الثالثانية بالوجود المتوقع المعلوم بقانون يضبط ذلك الوجود.تنظر ص42-43 منه.

[3]- ينظر السابق، ص9، حيث ركّز على السيميوطيقا وعلى البلاغة البصرية، بوصفهما مقاربتين للتجربة البصرية في الإدراك.

[4]- ينظر السابق، ص21.

منظور حدسي مباشر [1]. وتُعتمد معايير القرب والمشابهة والتسلسل بقوانين الصغر والانتظام والاختلاف والبساطة [2]، وعلاقة كلّ ذلك بالتموضع في الفضاء .

بهذا التصور الظاهراتي للشكل الكتابي لبنية النص، يمكن للقارئ أن يصنع أفقا للتوقع تأويلا مجملا، يتحقّق معه المحمول الدلالي الذي يقدّمه الشكل بصريا قبل أن تقدمه العلامات مدلولات في طبقات استلزامية على قدر نظر القارئ ومعارفه.

إنّ الجمع بين الظاهراتية والسيمياء والتأويل والحدس من جهة، وبين الإدراك البصري للأشكال في الفضاء المعطى، وعلاقاته بالمعايير والقوانين السالفة، توليفة منهجية لمقاربة حدسية تنتظر التصديق أو التقويم أو العدول عنها إلى غيرها. وفي جميع الحالات تعطي هذه العملية ممارسات ذهنية إدراكية تتنبأ بالمضامين من خلال أشكالها المرئية.

في هذا الطرح ملامح التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة، ولكنها تمتد إلى الخلف باعتمادها صورة التجريب من حيث هي اقتراح أو صورة أو نمط يمكنه استجلاء وتقصي الأشكال والبحث في مدلولاتها وفق معايير بذاتها.فإذا اعتمدنا نظرية القراءة؛ فإنها-أي المقاربة- المقترحة لا تتحقق معها معطيات التجربة الفردية. وإذا اعتمدنا الظاهراتية والإدراك

[1]- ينظر السابق، ص19.

[2]- ينظر السابق، ص23-27.

الحدسي والحسي القائم على البصر، فهو جمع بين مقدمات المدرسة الألمانية زمن الحداثة، ومقتضى الدرس السيميائي زمن الحداثة أيضا، وهو بذلك يذهب إلى مخرجات الدرس السيميائي الأمريكي، ومنطق الأشياء بالتعبير البصري لدى بيرس. وعليه؛ يكون الحاصل شكلا لمقاربة فيها رؤية ألمانية بآليات أمريكية، ولكنه في نظري مرتبط بمرحلة الحداثة لاعتماده معايير قابلة للتجريب والقياس، وإن كان في هذا الطرح بعض ميزات التجربة الفردية التي تُعنى برؤية فردية وخاصة. إنه-حسب رأيي- يشبه كثيرا ما فعله مرتاض في كتابه "تحليل الخطاب الشعري".

وعلى العموم؛ فإنّ التعارض شمولية/انتقاء لم يغط فكرة التجريب والقياس والنظر بمقارنة المقاربات على المناويل المعطاة للوصول إلى صلاحية التحليل والمقاربة على كلّ أشكال النصوص إلا أنّ الحاصل أظهر بوضوح النمطية والتكرار والتشابه، وقلما يبدو الاختلاف إلا في صور ضئيلة لا يدركها إلا الناظر المتنعّم؛ فبدا التكرار مملا، وبدأت ناره تخبو شيئا فشيئا حتى فقدت جذوتها، وصارت الفائدة خارج نموذج التعليم لا تعطي ثمارا، ولا تبلّغ غايةً، لذلك بدأ التفكير في مرحلة أخرى بنموذج أو نماذج أخرى تنفي التكرار والاستنساخ، وتؤسس للاختلاف الذي يصنع المعرفة والتّميز والتّفرد. وهو ما حصل مع مقاربات ما بعد الحداثة .

إنّ النماذج التي تمّ عرضها كلّها نماذج أصيلة، وهي مقاربات تقاس عليها المقاربات الأخرى؛ ولذلك جاء بيان حالها -على تميزها- أنها قامت على التجريب والقياس والمقارنة. وقد جاءت إلى الساحة النقدية من منظور بيان شقّ الطريق، وتعيين آليات المقاربة في إطارها الخاص الذي يتعلّق بنصوص بذاتها لا بغيرها. بمعنى هي مقاربات ترسم كيفيات بناء التعامل مع النصوص، بتوافق بين مكوّنات البنى النصية ومناهج دراستها، لتكون صورة تستنسخ في كلّ حين ومع كلّ نص، بدليل اختلافها فيما بينها وكلها متقاربة من حيث الطبيعة المنهجية أو من حيث الطبيعة الزمنية (مرحلة الحداثة).

التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة:

ممارسات فردية ذاتية من دون نموذج سابق

درءًا للتكرار وطلبا للاختلاف والتنوّع المعرفي الذي يولّد المعرفة، وينبذ التقليد ويكرّس التجديد،-وهو ما لم يتحقق في مرحلة الحداثة ومقارباتها-، ظهر التفكيك ونظرية التلقي والدراسات الثقافية على أساس الرؤى الخاصة عند القارئ المستجيب لمحتوى عناصر مهمة في بنية النصوص؛ فعلى الرغم من الاختلاف النظري بين الألمان والفرنسيين والإنجليز إلا أنهم اتفقوا دون سابق إنذار على تقصّي أثر التجربة الفردية، وشابههم في ذلك سالكو المقاربات التداولية، بحثا في السياقات والمقاصد والحجاج والتأويل بما يجعل من لعبة الدوال مداخل نصية تتعقّب مصادر

المعرفة بالشكّ والظن حتى الوصول إلى ما يُعتقَد أنّه المراد مؤسسا على الذاتية والفردية في الإدراك والتشخيص، وعلى الموضوعية اللغوية ممثلةً في بنية الخطابات المنتجة في فضاءات سيميائية متأثرةً بكلّ العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية.

في هذا الإطار ينبغي التنويه بالصور المختلفة في المرحلتين؛ ففي مرحلة الحداثة تمّ اعتماد موضوعية لغة النصوص مع تلافي مضامينها وتأخير البحث الدلالي في الدرسين اللساني والنقدي، والعمل على تفسير الظواهر من خلال كيفيات آداء المعاني لا المعاني بذاتها، وفي مرحلة ما بعد الحداثة تمّ اعتماد التحول من البنى اللسانية إلى مضامينها ومحمولاتها الدلالية فرديا وذاتيا، ثمّ التعريج على البنى السطحية تدليلا على جودة الإدراك والاستيعاب، ليكون العمل قائما على شقي الخطاب في المقاربة - بنى لسانية ومحمولات ومضامين دلالية-، وبينهما التناسب في الاستعمال والتداول بالترجيح والتهميش والبيان والاستدلال والبرهان ربطا بين الشقين.

وإن كان لا يمكن نفي صورة موضوعية لغة النصوص والممارسة الذاتية عن مقاربات مرحلة الحداثة، ولكن الفروق التي سلف ذكرها تجعل ذاتية كل مرحلة تختلف عن الأخرى، والموضوعية اللغوية عامل مشترك بين المرحلتين معا. كما لا بدّ أن نتوقف عند نقطة اعتبار الدراسات الثقافية نقطة مفصلية تفصل بين ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة، لكن

التعامل مع الخطابات بعد مرحلة الحداثة بدا متشابها إلى الحدّ الذي قد لا يمكن الفصل فيه بينهما -ما بعد وما بعد بعد الحداثة-، ولا يكون ذلك ممكنا في نظري ما لم نرجع إلى فكرة البينية التي تخلت عن نقاء التخصص إلى تكامل المعارف، وهو مدّ معرفي لم يقع الإجماع عليه إلى اليوم خاصة في المنجز اللساني والنقدي العربي المعاصر.

وعلى هذا؛ تكون التجربة الفردية ممارسة نقدية، تنتج مقاربات فيها ملامح الذاتية، وملامح الموضوعية، مرّةً على أساس الصراع القائم بينهما عقلا، ومرّةً على أساس التكامل الذي يفرض ذاته في كلّ مقاربة عملا بتوافق خصوصية الرؤية، وعلمية الخطاب ولغته، ولو على نحو التفرّد والتميّز والاختلاف، وهو ما أُريد في مرحلة الحداثة ولم يُدرك في نظري؛ فقد كان الاختلاف ضئيلا يقابل مشابهة عالية في مرحلة الحداثة وإجراءات التجريب والقياس والنظر(التقييس)، في حين كان الاختلاف عال والمشابهة ضيقة في مرحلة ما بعد الحداثة وممارسات التجارب الفردية.

لقد أُسّس التجريب والتقييس(القياس والنظر) على الذاتية والتفرد أيضا، أو أريد له أن يتأسّس على ذلك، وتمَّ النظر في قياس الحاضر على الغائب، فأعطت موضوعية البنية النصية (الخطاب) للممارسة النقدية- المقاربة- صبغة موضوعية عانقت الذاتية والتفرد في فعل التجريب والقياس، بما أنتج شكلا من التكامل بين الرؤية المنهجية ذاتيا وبين

مكوّنات البنى النصية موضوعيا، حتى ليبدو فعل الممارسة في حدّ ذاته شكلا موضوعيا أكثر منه فعلا ذاتيا، يأخذ من المناهج شطرا ومن لغة النصوص والخطابات شطرا آخر، وليس له من ذاتية الفرد غير الممارسة. وهنا يبدو بين الذاتية والموضوعية تكامل كبير يمحو الحدود التي يرسمها التعارض الذهني بينهما اعتقادا.

وأُسّست التجربة الفردية هي الأخرى على التفرّد، وتتبّع الاستيعاب الخاص عملا باهتمامات القارئ، ومؤشرات البنى النصية، وبذلك تكون المقاربات تروم موضوعية في الطرح أساسها إدراك فردي خالص، يقوم على الذاتية، وهو ما يجعل اشتغاله قائما على حدود التجربة والمعارف المسبقة التي تتعامل مع أكثر الاحتمالات منطقا وعقلانية في تتبّع طبقات قراءة تجمع بين كلّ هذه الميزات والخصوصيات؛ فهي ذاتية طاغية لبناء طرح موضوعي في تأويل متّسق منسجم...وهو ما يسوّغ الحديث أيضا عن ذاتية تتكامل مع الموضوعية، لا تعارضها ولا تناقضها لا اعتقادا ولا إجراءً وممارسةً.

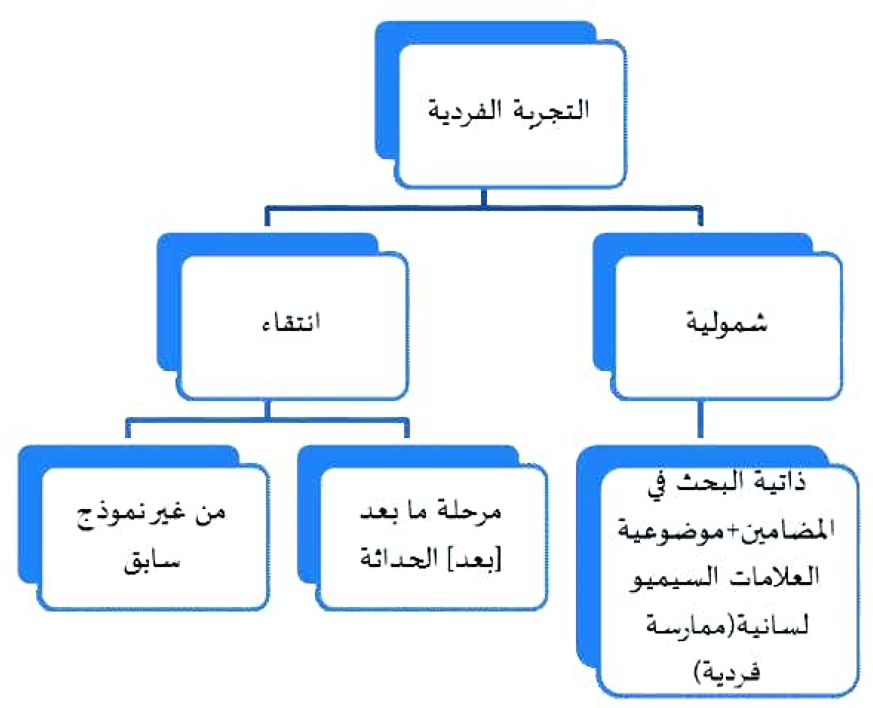
في المنجز النقدي المعاصر إضافةً إلى الذاتية والموضوعية حضور قوي لثنائية الانتقاء/ الشمولية؛ ذلك أنّ المقاربات التي ننتجها أو نتمتع بالاطلاع عليها لا تلبث أن ترسم في القارئ المطّلع صورة الشمولية التي تأتي على مجمل النص/ الخطاب متتبّعةً مكوّناته البنيوية، وتظهر المقاربات بهذا المنطق شمولية وكلية فيها حديث البنيات العليا والكبرى وحديث النماذج

الفكرية، ومستويات التحليل من الصوتي إلى الصرفي إلى المعجمي إلى الدلالي فالتركيبي، أو تقابل القارئ المطّلع مدارات لا تتوقف عند جزء مركّب للنص/الخطاب دون سواه، لأنّ المقاربة تجري على مجمل النص/الخطاب بكلّ مكوّناته، وهذا الذي أراه شموليةً.

وفي مقاربات أخرى يظهر الانتقاء سمة ظاهرة تتتبّع جزئيات بذاتها، يتم التركيب بينها لصناعة كلّ متّسق. وقد يتمّ التعامل مع ظاهرة جزئية تصنع القراءة وموضوعها، ويتوقف الفعل النقدي ممارسةً وإجراءً على ذلك. وقد يتمّ التعامل مع ظاهرة بذاتها في أكثر من نص/خطاب لمؤلف واحد أو لمؤلفين كُثُر، ويكون محمول المقاربة ظاهرةً مشتركة لسانية أو اجتماعية أو نفسية، أو موضوعا يحيل على واقع الفرد أو المجتمع يوجب إفراده في مقاربة ما على أساس أنها الأكثر هيمنةً وورودا في البنية اللسانية أو البنية المضمونية، ليتمَّ الانتقال من الانتقاء الخالص بوصف الدراسة أنموذجا، له أشباهه ونظائره، إلى الشمولية التي تجمع بين الاستعمال اللغوي التداولي أي ظاهرة لسانية، وبين التناول الفكري والنقدي والرؤيوي لظاهرة نفسية أو اجتماعية أو قيمة معرفية ما لدى قارئ أو ناقد أو باحث. أي يجري الانتقال من الانتقاء إلى الشمولية إدراكا إبداعيا، وإدراكا قرائيا تأويليا نقديا [1]. وهو يعطي لثنائية الانتقاء/الشمولية في

[1]- ينظر: إيزر، التخييلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد لحميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص10. يؤكد

المنجز اللساني والنقدي المعاصر صبغة العموم والإطلاق، لا التخصيص والتقييد، فهي تجري على بعض مقاربات التجريب والقياس كما تجري على مقاربات التجربة الفردية.



التجربة الفردية في ممارسات تحليل الخطاب وإجراءاته النقدية:

في التجربة الغربية -تمثيلا من المنجز اللساني والنقدي المعاصر- نهج براون ويول في كتابهما <u>**تحليل الخطاب**</u> [1] على تقصي **الشمولية** في تناول المادة اللسانية للخطابات بتعيين مدارات البحث ومناهج دراستها، وهو

الباحث على كينونة الانتقاء والتركيب بين التشخيص التأليفي في التخييل وبين التحليل القرائي في الفهم والتلقي على أساس الكشف الذاتي.

[1]- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/ 1997م.

بذلك يعطي نموذج المقاربة الذي يحقّق عند محاكاته الحدّ الأكثر موضوعية في استقصاء البنى اللسانية للخطابات، فإن اعتمدنا الفصلين السادس والسابع أصلا لمناقشته التماسك النصي والتماسك المعنوي وتقديم نموذجين: أولهما يجري على الترابط النصي والإحالة والاستبدال اللساني [1]، ويجري الثاني على أساس وظيفة الاتصال وأفعال الكلام واستعمال معرفتنا بالعالم، مع تفعيل الإطارات والمدارات والمخططات والنماذج الذهنية لتحديد الاستنتاجات اللازمة والاستدلال على التوجهات العامة في تحديد موجهات ونتائج التماسك المعنوي [2]؛ فإن فروعا تتّصل بهذا النموذج تتعلق بالمضامين وتمثيل المحتويات النصية [3]، كما تتعلّق بالسياق والفهم والمقاصد وعمليات الافتراض والتضمين [4].

إنّ هذا النموذج في نهاية المطاف نموذج لغوي لتحليل الخطاب في شقيه اللساني والمضموني، وقد قدّمه الباحثان للنظر في إمكانية تطبيقه على نصوص عدّة وقياس مدى نجاح هذا التطبيق بالتجريب والنظر والمقارنة.وهذا وجه. الوجه الثاني الرؤية الشمولية التي تأتي على كلّ المكوّنات اللسانية وما تمثله في جملة الوظائف التعاملية والتفاعلية التي تميز

---

[1]- ينظر السابق، ص227-264.

[2]- ينظر السابق، ص267-324.

[3]- ينظر السابق، ص83-140، وفيها حديث عن تصوير المحتوى وعن المناسبة وإطار الموضوع والافتراضات المسبقة، وهو محمول الفصل الثالث من الكتاب.

[4]- ينظر السابق، ص35-71، وهو محمول الفصل الثاني.

العلاقة النسبية بين النص والقارئ. وإن كان الباحثان في الأصل يقدمان تجربة فردية، فيها شيء مما يدعو إلى التجريب والقياس.

ونحوه روبرت دبوغراند في كتابه **النص والخطاب والإجراء** [1]؛ فقد جرى هو الآخر على تعيين مدارات المقاربة في شكلها الشمولي، وعدم ترك شيء من المادة اللسانية بعيدة عن الدراسة، أو لا تطالها الدراسة، ولا تلحقها المقاربة في صورتها اللسانية المحضة. وللقارئ أن يتأمّل شمولية الطرح في هذا المصنّف ربطا بين التواصل والنصية ومعاييرها ممثلةً في الاستحسان ورعاية الموقف والقصدية والإخبارية والانسجام والترابط الفكري والتناص [2].

والكتابان السابقان يشتغلان رأسا على المادة اللسانية بما يحقّق نموذجا معرفيا ينحو إلى السلامة في إحاطته بمركبات بنية الخطابات، والتعمّق في دراسة مخرجات اللسان البشري وإنتاجه المخصص للتواصل وتبادل المعارف. وكالتجريب والقياس؛ فإنّ المد اللساني والفلسفي والمعرفي كان حاضرا في تأطير المعارف النقدية في التجربة الفردية.

وفي التجربة العربية؛ ظهر كتاب الغذامي: الخطيئة والتكفير شموليا جرى على معالجة كلّ العناصر البنائية للخطاب، وإن كان في طرحه

---

[1]- ينظر: روبرت دبوغراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ج م ع، ط1، 1998.

[2]- ينظر السابق، ص103-105.

المنهجي يبدأ انتقائيا حين يعيّن عناصر النموذج المدروس الستّة، ولكنه الانتقاء الذي يفرض التركيب ليكوّن نموذج الخطيئة والتكفير. إلا أنه في الطرح المعرفي يقدّم تجربة فردية ذاتية تجمع بين البنيوية والسيميولوجية وهما مقاربتان من مرحلة الحداثة ويضيف إليهما التشريحية/ التفكيكية ونظرية القراءة من مرحلة ما بعد الحداثة، ليعطي للنص وجودا منهجيا مزدوج الوجهة؛ يفتح مغاليقه بالبنيوية والتشريحية والسيميولوجية ونظرية القراءة، وينتقي من البنية النصية عناصر الخطيئة والتكفير في الفكر الديني ممثلةً في آدم وحواء والفردوس والأرض والتفاحة وإبليس [1] . بهذا الطرح المنهجي والبينية المعرفية يكون الغدامي قد قدّم تجربة فردية فيها جمع من كلّ شيء منهجيا ومعرفيا. وبغض النظر عن تلقي الجمهور لها؛ فإنها تبقى الصورة التي ارتآها، وتطلبت هذا العرض والتقديم.

وكان محمد مفتاح [2] سباقا في مشروعه النقدي بعرض المقاربة السيميائية وتطبيقها على النص العربي الأندلسي القديم، واشتغل على

---

[1]- ينظر: الغدامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط6، 2006، ص78-169.

[2]- ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص141-179 للتوسع.وقد ناقش باحثون كثر محمد مفتاح في رؤاه النقدية كـ: أحمد بوحسن في المشروع النقدي لمحمد مفتاح، الساعة 18.28 بتاريخ: 07/ 05/ 2018.

http://www.aljabriabed.net/n201-obuhsan.htm

ومحمد الداهي، ملامح المشروع النقدي للباحث محمد مفتاح، الساعة 12.23 بتاريخ 08/ 05/ 2018

.http://mohamed-dahi.net/site/news

الشمولية في الطرح، واتضح له بعد تلك التجربة أن ينحو منحى آخر يجري فيه على التركيب المنهجي ويشتغل على توليفة منهجية تتناول التناص مدخلا نصيا في كتابه تحليل الخطاب وإن كان طرحه يكرّس الشمولية ولم يقتصر على السيمياء مقاربةً ولا على التناص مدخلا نصيا؛ فقد تعيّن لمشروعه ثلاث مراحل: أولاها مناهج غربية لقراءة النص العربي القديم وفيها كتاباه: في سيمياء الشعر القديم [1] وتحليل الخطاب استراتيجية التناص [2]. وثانيها بناء المنهج نظريا وفيها دينامية النص [3] والتلقي والتأويل [4]. والثالثة من التركيب الحداثي الغربي إلى الموسوعية التراثية وفيها المفاهيم معالم [5].

فمن جهة بناء المنهج وحدود المقاربة المركبة عنده؛ فقد مال إلى البيولوجيا والرياضيات والمعلوماتية(الذكاء الاصطناعي) والفلسفة وعلم

و: مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2005.

[1]- في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989.

[2]- تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992.

[3]- دينامية النص تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006.

[4]- التلقي والتأويل، مقاربة نسقين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994.

[5]- المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999. يبدو أن رشيد الإدريسي قد سلك النهج ذاته عندما اشتغل على مقامات الحريري. ينظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل ، الحريري بين العبارة والإشارة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010. هكذا اختزالا دفعا للتكرار والإطناب.

الاجتماع وعلم النفس، وأعطى لقارئ الخطاب حرية في نسج منوال المقاربة بما يتناسب وبنية الخطاب محّل الدراسة، ولذلك تجد مصطلحات السيرورة والتناسل والفضاء والدينامية والذاكرة القصيرة والطويلة تملأ مقارباته في المراحل الثلاث. وأما القصدية النصية والاجتماعية والتفاعل والتواصل وغيرها فهي مما تعجّ به الدراسات النقدية المعاصرة، فما بالك بمشروع محمد مفتاح الذي بناه على موسوعية التراث، ودقة التخصص وتكامل المعارف في الفكر المعاصر.

وقد كان حضور المواد الصوتية والمعجم والتركيب في المرحلة الأولى قويا، سواء عند اعتماد السيمياء مقاربة أو عند اعتماد التناص مدخلا للمقاربة في تحليل الخطاب. وبغض النظر عن الوجه السيميائي المعلن فإن الباحث أكّد على الوجود اللساني والتداولي والتوليدي والسردي، ثم قارن بين مخرجات الغرب النقدية والفلسفية في مقابل المخرجات التراثية عندنا من بلاغة وعلم كلام وأصول وفق ما تقتضيه قواعد التناسب والاستقراء والاستدلال والقياس والتصنيف.

إنّ الذي قدّمه محمد مفتاح منهج مركب فيه توليفة من مقاربات عدّة، الأساس فيها الفكر الموسوعي التراثي وفكر تكامل المعارف المعاصر، وهو ما ينحو إلى الشمولية في معالجة القضايا التي تحملها الخطابات المدروسة مع التأكيد على الانتقاء الذي يتطلب تركيبا لا يخرج عن بنية الخطاب ولا يتعارض مع مركبات المنهج والمقاربة . وقد بدا في عمله

المتواصل -هذا- اقتراح التجربة الفردية نموذجا أصيلا لقراءة النصوص من غير نموذج سابق، ولا دعوة إلى اعتماد بعض أعماله نماذج تُحتَذى لمعرفته بخروج المقاربات إلى مرحلة جديدة تأتي إبداعا على إبداع، ولا يصحّ أن يبتدع المتأخر شيئا حاكاه في سابق متقدّم. وقد تتشابه الدراسات والمقاربات ولكنها تختلف أكثر مما تتشابه بما يرفع قيمتها المعرفية منهجيا بوصفها مقاربات أصيلة، وتحافظ على متون الخطابات على تشابهها اللغوي واختلافها البنيوي والمضموني.

الدراسات الثقافية : نماذج حية للتجربة الفردية

تخصصات بينية وتحولات وإعادة نظر في الفكر والممارسات الإنسانية :

يعطي التاريخ النقدي لمرحلة ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة شكلا تصوريا يجمع بين التجربة الفردية من حيث هي ممارسة فردية تتأسس على الموضوعية في الطرح والذاتية في النقد والنضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بل الفكري والإيديولوجي أيضا، وبين الفكر البيني والتحولات وإعادة النظر في الفكر والممارسات الإنسانية مع تغيير البيئة؛ فبعد أن كان الفكر المناهض للرأسمالية شرقي المنشأ، صار غربيا إنجليزيا مرتبطا بالفئات العمالية والثقافات الدنيا والطبقات التي تشكل الأغلبية وتفتقد قوة التمثيل والتأثير في الثقافة العليا للمجتمع الأنجلوساكسوني.

وفي الشق الأول كما في الشق الثاني تقاطعات بالجملة مع ما تمّ تقديمه في التخصصات البينية وفي العلوم المعرفية ، لتغدو الدراسات الثقافية نماذج حية للتجربة الفردية من حيث المرحلة التاريخية وما فيها من عودة إلى تاريخ ما قبل الحداثة، وعودة إلى المضامين على حساب الأشكال والبنى اللسانية، ليكون في الوضع الجديد المعادلة الأكثر تعقيدا (حركة نقد ثقافية= فكر ما بعد الحداثة فكر ما قبل الحداثة) بتكريس ظاهرة التكامل المعرفي، وتحديد المشكلات الاجتماعية والفردية داخل البنية العامة للمجتمع، حيث تؤدي التخصصات المتعددة دورا محوريا في الفهم العام والاستيعاب الكلي. وقد بدا في هذا الطرح إعادة التفكير في الاختيارات السابقة القائمة على التخصص الدقيق والنقي إلى تعدد التخصصات وتكامل المعارف، بما يصنع نمطا جديدا لا يقصي الماضي بحيث أعاد إليه اعتباره، ويؤسس للتجربة الفردية من جهة التكامل وتعدد الرؤى وعلوية الاستيعاب. ببساطة كان مدار المعرفة البعد المفرد والمنهج الأوحد، وصار الأمر إلى تعدد الأبعاد والمنهج البيني التكاملي، حيث الأبعاد الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بعضها ظهير بعض.

مفهوم الدراسات الثقافية :

هي ثقافة نمط السلوك الاجتماعي، من حيث أنّ الثقافة هي معرفة ومعتقدات وفنون وأخلاقيات وقوانين وأعراف وعادات الإنسان داخل

مجتمعه، وما وقع في دائرة الاكتساب داخل البنية العامة للمجتمع [1]. وقد تعينت الثقافة عند سايمون ديورينغ تقابلا بين ثقافة عليا وأخرى دنيا، لتصنع المعاني والعمليات والمؤسسات التي تؤدي إلى فهم الوجود؛ ذلك أن الطبيعة هنا تعطي شبكةً من المتناقضات تتأسس عليها الدراسات الثقافية، وتعطيها سبب الوجود بالنضال من أجل مبادئ تحقّق في المجتمع الواحد نمطية التسوية والإخاء والعدالة الغائبة [2].

وعليه؛ تأتي الدراسات الثقافية تنظيما للبحث ورأس المال الفكري، بما يعطيها الشرعية والآنية في معالجة القضايا التي لا تعرف المسلمات، وتجد نقاشاتها في كلّ تخصص يمكنه تعرية الحقيقة طلبا للعلاج، وبخاصة وأنّ هذا العلاج لمشكلات تقع في مجتمعات رأسمالية، قد لا تؤمن بالفكر الماركسي، وليس لها إلا جبهة اليسار للمناورة السياسية والاجتماعية

---

[1]- ينظر: زيودين سوردار (Ziauddin Sordar) و بورين فان لون(Borin Van Loon)، الدراسات الثقافية، تر: إمام عبد الفتاح إمام،المجلس الأعلى للثقافة(المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، ط1، 2002، ص8

[2]- ينظر: سايمون ديورينغ(Simon During)، الدراسات الثقافية، مقدمة نظرية، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015، ص309-333.

وينظر للتوسع في المفهوم: تيم إدواردز(Tim Edwards)، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تر: محمود أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012، ص201 إلى 285 معالجا النظرية الثقافية المعاصرة من حيث المفهوم والامتداد والجوانب التاريخية. وقد بدا بحثه على صورة الإجمال التي يبدو عليها، فيه تفصيلات دقيقة.

والاقتصادية. إنّ الدراسات الثقافية تضع المشكلة وتعريتها في سياق عـام، هو الفهم الشمولي للثقافة، مما يجعلها حية، وذات هدف أساسـي، لتكـون الدراسـات الثقافيـة المعاصـرة مجمـل التعـابير المشـكّلَة مـن الممارسـات الاجتماعية والاعتقادات والأنظمة المؤسساتية [1].

التخصصات المعرفية في الدراسات الثقافية :

يتقـاطع علـم الاجتمـاع والفلسـفة والتـاريخ والأدب واللسـانيات والسيمياء والتحليل النفسي [2] والانثربولوجيا والدراسات الجندرية وتاريخ الفن والإثنوغرافيا وتاريخ المجتمع [3]. وبذلك يظهـر التخصـص البـيني، أو

[1] – Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle, dans L'homme et la société, 2003/3(no 149) pages 31-40. https://www.cairn.info/revue-l-homme-et-la-société-2003-3-page31.htm.

[2] - Ibid.

تؤكد الباحثة على أنّ هذه التخصصات هي الوسيلة الوحيدة القادرة على اكتشاف الحقيقة المتعـددة للثقافة.

[3] - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies : une approche d'histoire des savoirs, dans revue d'histoire moderne et contemporaine,2004/5, (no51-4 bis), pages 48-58. https : www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-pages-48.

تاريخيـا، ظهـرت الدراسـات الثقافيـة في جامعـة بيرمنجهـام الإنجليزيـة عـام 1964 مـع ريشـارد هوغارت (Richard Hoggart) وريموند ويليامس(Raymond Williams)[1923-1988] وإدوارد طومسون(Edward Thompson) [1924-1993]. وكان هوغارت قد ألّف كتابـه "ثقافـة الفقـير" معالجا فيه تأثير ثقافة الطبقة العمالية من خلال وسائل التواصل والإعلام. وكان زميله ويليامس قد ألّف "الثقافة والمجتمع". وأما زميلهم الثالث فله "صناعة الطبقة العمالية الإنجليزية". وكـان عمـل الرواد الثلاثة متعلقا بالحياة الحقيقية للطبقة العاملة وثقافتها التافهة في نظر الطبقات الأخرى كما يراه ريتشارد هوغارت، في حـين عمـد طومسـون إلى بلـورة هـذا الصـراع الطبقـي وتعارضـاته

تعدد التخصصات في هذه الدراسات التي شكلت حركةً تجمع بين كلّ

الفكرية والاجتماعية، ليؤكد ويليامس بأن الثقافة أسلوب حياة كامل وكيان واحد. وينظر: زيودين سوردار وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ص32-38.

طبعا هذه الدراسات تصدر عن مركز الدراسات الثقافية المعاصرة ببيرمنجهام(CCCS). وإنما تصنع الثقافة الاختلاف بالممارسات الفكرية، من حيث هي التزام يسعى إلى الارتقاء بأخلاقيات المجتمع وفق منظور فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة والمفردة وعلاقتها بالسلطة. إنه التوجه الجديد لليسارية الأوربية في الغرب. ينظر زيودين سوردار وبورين فان لوك، الدراسات الثقافية، ص13. وفي ص10 منه يحدد الباحثان التخصصات التي تعتمد في البحث الثقافي: علم الاجتماع وعلم النفس والانثربولوجيا واللغويات ونظرية الفن والفلسفة والعلوم السياسية. ولذلك امتدّ البحث في الدراسات الثقافية إلى جامعات أمريكية (Illinois) و(Iowa) وكان محط ملاحظة المنظرين الفلاسفة الفرنسيين ليوطار (lyotard) ودريدا(Derrida) وبارث(Barthes) وفوكو (Foucault) ودولوز(Deleuze) وسارتو (Certeau) وريكور (Ricoeur). وفي الوقت الذي كانت فيه دول أوروبية كثيرة بعيدة عن الدراسات الثقافية عدا دراسات متفردة، وصل المد الثقافي أوجه في أمريكا اللاتينية مع الكولومبي خيسوس مارتن باربيرو (Jesus Martin Barbero) والأرجنتيني نيستور غارسيا كانكليني(Nestor Garcia Canclini) والبرازيلي ريناتو أورتيز (Renato Ortiz) والمكسيكي جورج غونزاليس(Jorge Gonzales) وفي أمريكا الشمالية مدرسة شيكاغو مع هوارد بيكر(Howard Becker). كما امتد إلى الهند مع المؤرخ البنغالي راناجيت غوها (Ranajit Guha) المتأثر بأعمال غرامشي(Gramsci) والماركسية وأعمال طومسون. إن المزج بين الاقتصاد والعلوم السياسية وعلوم الاتصال والصحافة والعلوم والتكنولوجيا والانثربولوجيا والتاريخ والجندرية ثم مناقشة وتحليل موضوعات كالعرقية والطبقات الاجتماعية والجنس يجعل لهذه الدراسات طبيعة شمولية تقوم على معارف بينية. ينظر:

Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit.

وعليه؛ تأتي الدراسات الثقافية في سياق خاص بدأ في خمسينيات القرن الماضي حين بدأت الطبقة العمالية تتوجه نحو البرجوازية، وظهور جيل جديد يطرح مشكل الانتماء إلى ثقافة ما أو إلى ثقافات كثيرة. وهو جيل ثائر تحت سننه الثقافي بمعارضة السنن الاجتماعي للطبقة البرجوازية. ينظر:

Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle , op.cit.

التخصصات التي ترتبط بالإنساني في المجتمع وكذا المجتمع البشري الذي يتأسس على ممارسات وتعابير ثقافية [1]. وقد أجملها تيم إدواردز في تراث علم الاجتماع [2]. ولأنّ الهوية الثقافية مدمجة وتتبع الظروف التاريخية والاجتماعية الخاصة؛ فإنها تصنع سياقا علميا وآخر سوسيو-تاريخيا بما ينتج عنه الفكر العام للسياق ذاته، حيث تصنع التعارضات الثقافية الحدث، وتؤجج النضال داخل النموذج الثقافي.

الموضوعات:

اتخذت الدراسات الثقافية موضوعا لها القضايا والظواهر الثقافية في المجتمع البشري كالاستعمار والنسوية وقضية الزنوج والطبقات الكادحة والعرقية [3] وهذا وجه. والوجه الثاني، وسائل الإعلام والعولمة ومقاومتها [4]. وعند ديورينغ هي الهوية ممثلةً في العرق والتعددية الثقافية وجدل الهوية [5]، ووسائل الإعلام ممثلةً في التلفاز والموسيقى الشعبية

[1] -Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle , op.cit.

[2]- ينظر: النظرية الثقافية، ص 25-157.

[3]- ينظر: زيودين سوردار وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ص45. وناقش في ص50 وما بعدها قضية المثقفين والمفكرين والهيمنة والهوية التي رفعها إلى هومي بهابها (Homi Bhabha)، وهو أمريكي ناقش قضية الهوية والعرق وجعلها مرتبطة بالانتساب ص127. والهوية والصراع السياسي ص132. والأدب الزنجي ص134.

[4]- ينظر السابق، ص158-170.

[5]- ينظر: سايمون ديورينغ، الدراسات الثقافية، ص239-263.

والانترنـت [1]، والفضـاء ممـثلا في العولمـة والمحلـي والإقليمـي القـومي [2]، وأخيرا الزمن ممثلا في الماضي بوصفه تاريخا ثقافيا، والحاضر بوصفه الآني الذي يحرك البحث الثقافي، والمستقبل بوصـفه محـلا للتغـيير، وهـو القـائم علـى السياسـات والنبـوءات [3]. وعنـد آن شـالار موضـوعات الأقليـات العرقية وما بعد الكولونيالية والجنس والمثلية والعولمة وانعكاسـاتها داخـل المظهر السوسيو-سياسي، وهي موضوعات عند غيرها. المهم هي مطالـب هوياتية لمختلف الجماعات السوسيو-ثقافية التي كانت ضحية تهمـيش أو تمييز داخل المجتمع، ولم تجد التغيير والتعبير والمطالبة بالحقوق والتعايش إلا في مرحلة ما بعد الحداثة [4].

إن الذي تمّ ذكره في هذا المقام معرفة مشتركة بين المهتمين بالدراسات الثقافية، ولذلك تأتي مفصلة عند البعض، كما تأتي مجملـة عنـد بعضـهم

---

[1]- ينظر السابق، ص177-225.

[2]- ينظر السابق، ص135-157.

[3]- ينظر السابق، 91-119

[4] – Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle ,op.cit.

وينظر: Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies

متحدثا عن الثقافات الدنيا ووسائل الاتصـال، والموسـيقي، واللبـاس وحتـى الرياضـة، بهـدف ملاحظة كيف تستخدم الثقافة وتحول داخل المجموعات الاجتماعية العادية والمهمشة، ثم دراسة الأقليات المهاجرة.

الآخر [1] . ولكنها تتأسس على المرور من الأدبي إلى الثقافي عبر التاريخي والفلسفي والاجتماعي، مع حركة حثيثة لتحيين النظريات لمواكبة الممارسات الثقافية الكلية، مع اتخاذ الواقع المعيش مرجعا لكل مقاربة، لتمثل شاهدا ثقافيا على مؤولين وموضوعات وأشياء ضد الثقافة الرسمية، بوصف ذلك أفعالا مناهضة وحركات احتجاج كما فعل فوكو وغرامشي وألتوسير(L.Altusser) لصالح الطبقات الأقل حظا في المجتمع، ودفاعا عن مصالحها من منظور المثقف الملتزم والمستقل(l'intellectuel engagé et indépendant)، الذي يشتغل على ثنائية "هم/ نحن"، بما يقع تحت التقابل النخبة/ الجماهير. وقياسا على تناظر الأحوال أو على تعارضها تأتي السياقية المعاصرة للفعل كما تأتي صفة الإيجابية في صورتها غير المريحة وغير السلسة، ومن الطبيعي جدا أن يجد القارئ حديثا عن التهميش وتقابل النخبة والعامة، والممارسات الهوياتية والاستهلاك الثقافي، وبناء الجماعي أو الجمعي(construction du collectif) وعن العولمة وانعكاساتها، وعن الوطنية والمواطنة. ومن الطبيعي أن يجد كذلك موضوعات كتاريخ الاستعمار والكولونيالية وقضية المثقفين والالتزام والاستقلال، وغيرها من الموضوعات التي اشتغلت عليها الدراسات الثقافية.

---

[1]- ينظر: تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وقد أجمل الموضوعات في: التمثيل والهوية ص329، والنسوية ص379، وموسيقى البوب ص415، والمواطنة الثقافية ص461.

وينظر: Anne Chalard-Fillaudeau, op.cit.

المنهج:

إذن هو بحث تاريخي مرتبط بفهم مرحلة ما بعد الحداثة. وقد كان الهدف إعادة بعث التحليل الماركسي مع اليساريين الجدد، وظهور "أنظمة القيم" بتسليط الضوء على مقاربة ثقافة الأغلبية في علاقتها بتاريخ المجتمع، ومناقشة ممارسات المقاومة التي خاضتها الطبقات الشعبية في كفاحها الاجتماعي، والموضوع متعلق بالمجتمع البريطاني أولا ثم امتد إلى أمريكا فالهند وأستراليا وفرنسا [1].

تقوم الدراسات الثقافية على إنتاج مقاربات اجتماعية بمنهجية تتأسّس على دراسات ميدانية، وسبر الآراء، وتحليل الخطابات، من منظور ما بعد حداثي يتغيّ الإنسانيات والنسبية داخل كون ثقافي علمي اجتماعي تاريخي.

في "التحليل الثقافي" [2] أربع نظريات: الفينومينولوجيا مع بيتر بيرجر وهوسيرل وهايدجر، والانتربولوجيا الثقافية مع ماري دوجلاس (Mary Douglas)، والبنائية مع ميشال فوكو، والنظرية النقدية مع يورجن هابرماس(J. Habermas). كما نجد ماكس هوركهايمر(M.Horkheimer) وتيودور أدورنو(T.Adorno) وإيريك فروم(Erick Fromm)، وكلهم

[1] - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit.

[2]- ينظر: يورجن هابرماس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009. وينظر: تيم إدواردز، ص329 في حديثه عن التحليل الثقافي المعاصر.

يتحدثون عن مداخل التحليل الثقافي من منظور علم الاجتماع، بل منظور متنوع منهجيا لموضوعات متداخلة، تعالجها تخصصات مختلفة، يحسن تسميتها بالفكر البيني. وليس عرضها هنا لنقدها بقدر ما هو لمعرفتها، لأنّ التحليل الثقافي يتغيّ المضامين وفق منظور يحقّق معرفة تقارن بين الأنساق ظاهرها وباطنها؛ فتبدأ بالموضوع وكيفية تمثيله وتمثّله في المجتمع وثقافته حاضرها وماضيها، وبيان ما فيه وما عليه بتتبع الممارسات الثقافية في المجتمع من منظور الموافقة أو منظور المخالفة، بما يحقق التزاما واستقلالا وموضوعية.

ويعرض ستيفان فان دام [1] الانتربولوجيا الوصفية (الاثنوغرافيا ethnographic/) وتاريخ المجتمع حديثا عن منهج التحقيق في الدراسات الثقافية حين صارت الإشكالية مفهوما إيديولوجيا يتقابل فيه المهيمن والمهيمَن عليه، حيث يؤدي الطرف الثاني دور المستهلك الفاعل في مرحلة أولى ليتحوّل إلى منتج للقيم والخطابات الثقافية في مرحلة لاحقة. كما يعرض مقاربات بول ريكور الظاهراتية، ودراسات بيار بورديو (P. Bourdieu) الاجتماعية وغيرهما. وبهذا الشكل فإنّ المقاربات الثقافية تدخل في عموم التخصصات التي تناقش قضاياها من غير آليات تحليلية معتمدة اعتمادا متفقا عليه؛ فهي تخضع للتجربة الفردية في الطرح وتعرية المشكلات أمام الرأي العام، حتى ليتراءى للرائي أنّ الموضوعات

---

[1] - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit.

المطروحة ما هي إلا أشكال نضالية بـرؤى إيديولوجيـة معارضـة للسـلطة القائمة ورفضا لممارساتها، فتأتي الممارسـة المقابلـة لتعطـي لـذاتها أحقيـة الوجود والوجود المخالف، إن على مستوى التعايش وقبـول الآخـر، وإن علـى مسـتوى المطالبـة بـالتغير والاعـتراف بالممارسـة الثقافيـة وقبولهـا والتعايش معها. وعلى هذا الأساس تُستدعَى السـيميوطيقا لفـكّ تشـفير الممارسات الثقافية، من منظور **اليسارية الجديدة** [1] والهويـة الثقافيـة الـتي ترفض الحجر عليها.

مشاكل الدراسات الثقافية:

- عرضت آن شالار مجموعة من المشاكل [2]:
- إمكانية فقدان الهوية المعرفية بفعل البينية وتعدد الرؤى.
- تأخر الإجابة عن موضوعات آنية ومعاصرة
- ليس للدراسات الثقافية الوقت الكافي لإنتاج فكر شامل ومنسجم.
- وعلى الرغم من أن هذه الآنية والمعاصرة في المعالجة تضعفها، ولكنها تجعلها في المقابل ضرورية.

وعرض زيودين وفان لون في "الدراسـات الثقافيـة" [3] انتقـادات علـى مستوى الطبقات والأقليات وطبيعة المدن، ولم يبد لي -في رأيي- أن ترقى

[1] - Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle, op.cit.
[2] – ibid.

[3] -تنظر ص56-119 منه.

لتكون انتقادات أكاديمية. ولم يخف سايمون ديورينغ في "الدراسات الثقافية" [1] وجود مشكلات. وهي المشكلات التي تسري على المنهج وكيفيات المعالجة وطبيعة المقاربات بما لا يخرج عن مجمل ما في هذا الطرح.

وعرض ستيفان فان دام [2] جملة من المتناقضات الخارجية في الدراسات الثقافية :

- مشكلة توسيع حقل المرجعيات القائم على تعدد التخصصات، بما يصنع فضاءً غير منسجم، في كل العلوم وليس علما قائما بذاته لا يخرج إلى غيره، أي التخصص. وهو مشكل يصل حد الأزمة في رأيه.
- الابتعاد المتدرج عن المقاربات السوسيولوجية، وغياب الهوية العلمية المحددة بما يعطي إفرازات معرفية متنوعة من علوم مختلفة.
- غموض وكثافة الدراسات الثقافية.

ولا أرى المسألة كذلك للتحوّل الحاصل في المعرفة المعاصرة من نقاء التخصص إلى تكامل المعارف. وهذا وجه. والوجه الآخر، أنّ التحليل يأخذ منحى منهجيا أصيلا ويمتد في غيره طلبا لفهم أفضل وأوسع؛ فلا يكون للهوية المعرفية دخل، ولا يكون للغموض موضع، إلا أن نعتدّ بغموض كل علوم ومناهج التحليل المعاصرة التي تعتمد التجربة الفردية.

---

[1] -تنظر ص73 منه.

[2] - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit.

ثم إن ظهور هذا المد المعرفي المتعدد المشارب، يجعل البحث في صورته المتنوعة عملا يبحث عن المعرفة في كلّ المجالات التي تشكّل رغوة تتصل فقاعاتها مشكّلةً الثقافة بمعناها الواسع.

كما عرض مشكلات داخلية-أي من المشتغلين في حقل الدراسات الثقافية، حدّدها بحقل متداخل التخصصات، ووصفه بالمتوحش والحرّ من كلّ القيود المعرفية للعلوم والتخصصات المفردة؛ ولذلك يأتي نقد دونا هراواي(D.Haraway) متحدثةً عن الاستعمالات اللغوية غير المتحكم فيها من طرف الحركة النسوية. وفي نظري صناعة الخطاب الثقافي المعارض لطبقات تناضل من أجل الحصول على حقوقها لا يستبعد أن يكون فيه مثل هذا الاحتراز، وهو من موضوعات الدراسات الثقافية. كما يأتي نقد جورج ماركوس (G.Marcus) في الانثربولوجيا الثقافية حيث يعيّن ضرورة التفريق بين المقاربات. وقد ذكرت شيئا يُعتمد في هذا الموضوع؛ المقاربة المركبة بغية تحقيق معرفة كلية لواقع كلي، بعيدا عن تشظي المعرفة وتشظية الواقع. وفي نقد الانثربولوجي جايمس كليفورد (J.Clifford) البعد الجمالي للمقاربات الثقافية، حيث يتم تقديم القيم واحترام السلم الاجتماعي والتتابع (الاتصال) التاريخي، يتداخل التاريخي الحدثي بالانثربولوجي الإدراكي المفهومي، ليكون بين الاجتماعي المحض والمعرفي الصرف المخرج الواحد المُعيَّن بالمقاربات المتنوعة. وهو من عموم المعرفة المتكاملة والمناهج

المتضافرة والمقاربات المركبة، انتقاءً لموضوعات بذاتها، أو شموليةً لموضوعات عدة يلامس بعضها بعضا.

يصح القول إن الدراسات الثقافية لها ذلك المجرى الفني، وموضوعات الترفيه، والممارسات النضالية بالنسبة إلى البعض. وبالنسبة إلى البعض الآخر هي حقل جديد للعلوم والمعرفة، فيسمح تحليل الممارسات الثقافية، والتقاء التخصصات المتعددة بإعادة اكتشاف موضوعات الدراسة وتجديدها وإعطائها أبعادها الحقيقية، أو ما يُعتقَد أنها كذلك.

وقد أجمع المنتقدون على غياب الانسجام، وتعدد المنظورات، والضبابية والغموض والتشتت، مع تمسك أكيد بالتخصص الأصيل. ويبدو لي هذا هو ما تتأسس عليه التجربة الفردية التي نسعى إلى بيانها وإظهارها، من غير نموذج سابق، ولا مثال يُحاكى، بل طبيعة الحياة اليوم فيها عدم الانسجام وتعدد المنظورات والغموض والكثافة، فمن الطبيعي أن تتمظهر الدراسات الثقافية ومناهج مقارباتها بهذه الخصائص التي هي من الواقع المعيش المؤثر في كلّ الوجود المعاصر.

خلاصة:

في هذا البحث حديث عن مناهج تحليل الخطاب من جهة التجريب والقياس في مرحلة الحداثة، ومن جهة التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة، انتقاءً أو شموليةً، ذاتية أو موضوعية. ومدار الفعل التحليلي

مقاربات تتأسّس على الممارسات الفردية بخصائص معيّنة، تجعل من بعضها محاكاة لنماذج سابقة، ومن بعضها الآخر صوّرا مبتكرة من دون نماذج قبليّة، وإن كانت كلّ المقاربات تُعزى إلى نظريات ومدارس نقدية بذاتها. وإنّما يتعيّن الفارق بالزمن والمرحلة ونمط المقاربة، وبالنموذج في صورته الأصيلة أو شبه الأصيلة أو المقلّدة.

ارتبط النقد المعاصر بالمراحل التاريخية، بل بالمواقف المسايرة لحركة التاريخ؛ ففي مرحلة الحداثة قدّم النقد نماذج للقياس والتجريب، أعطت تراتبية معرفية تأسست على التشابه وعدم الاختلاف، وإن كانت جديدة في طرحها، بل متميزة في بداية المد النسقي.

وفي مرحلة ما بعد الحداثة؛ تعيّنت التجربة الفردية بديلا عن لتجريب والقياس والمقارنة، سواء أكان العمل على المحايثة أو على استجلاء السياقات والمقاصد والتداوليات. فكان العمل إبداعا والمقاربة إبداعا آخر قد يفوقه تصورا واستيعابا، وكلاهما يتأسس على انتقاء الظواهر والتركيب بينها جميعا بالكشف الذاتي، لدى المنتج بدءًا ولدى القارئ انتهاءً.

نموذج التجريب والقياس كنموذج التجربة الفردية يقوم على أسس نظرية ثابتة تتبع مخرجات نظرية ما بعينها، إلا أنّ التجريب يقتضي النموذج السابق، وهو ما لا تقتصيه التجربة الفردية، بل تأتي مفردةً ممارسَةً وإجراءً وتصوّرا بمبررات بنيوية نصية خالصة أو سمات أسلوبية

لافتة أو علامات سيميائية دالةً وفق مقتضيات النظرية الأصلية والنظرية المدمجة، وهي التي تزيد في مرحلة ما بعد الحداثة بالجمع بين المقاربات، فإن توقّف الفعل الإجرائي على مخرجات مرحلة الحداثة فهو قياس وتجريب .

في مقاربات المرحلتين معا، يبدو الانتقاء مرة والشمولية مرة أخرى، وقد يبدأ الطرح انتقاءً ثم لا يلبث أن يتحوّل فعلا شموليا، تتجاذبه النزعة الذاتية بفعل الممارسة الذاتية والفردية حينا، والنزعة الموضوعية بفعل موضوعية لغة الخطابات، فلما وصل التركيز أوجّه بدت الموضوعية التي هي في تصوراتنا المجرّدة نقيض الموضوعيّة ملائمة لها، متكاتفةً معها، بحيث تُستَقى المعرفة من الطرح الذاتي إدراكا، المؤيد بموضوعية الخطابات برهانا واستدلالا.

المعلم الرابع*: رؤى نقدية معاصرة في الإدراك والإنتاج وتحليل الخطاب

1- التحولات والرهانات (مأزق البَت في ما (يمكن/لا يمكن) البت فيه):

تكشف الذهنية البشرية عن ساقها عند كلّ قفزة تعتريها من الزّمن، محاولة بذلك العبور إلى الضفة الأخرى، حيث تجد نفسها أمام: القبول أو الرفض، تشّق طريق المجازفة والمغامرة، أو التراجع والحفاظ على ما هي عليه.

وتُعطي مساءلة العصر؛ للواقع رهانات مسؤولة -بشكل أوبآخر- عن قُطبي الإنتاج والتلقي، فتُصنع على عين الحقيقة أو ما وراءها، بوتقة بعينها، دون غيرها، وسيأتي الحديث عن تشكلات الرهانات على اختلافها لاحقا.

تصنع معالجة المواضيع والجوانب التي تبدو تافهة من الحياة في غالب الأحيانجدلا عظيما ومراوغا، يتجه نحو التّعالي، في الممارسة والنظريّة، وهو ما يُشكل قاعدة عريضة للإدراك والفهم..؛ لعلّ بيتر سلوترديك[1] قد أوجز

* هذا المعلم عمل مشترك مع الأكاديمية الباحثة: رفيدة أبو بكر من جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

[1] بيتر سلوترديك: ولد الفيلسوف الألماني بيتر سلوترديك عام 1947 ودرس الفلسفة واللغة الألمانية والتاريخ بجامعة ألمانيا (...) نشر عددا من الأعمال الفلسفية المشهودة في ألمانيا. يعمل أستاذ للفلسفة ونظرية الميديا (...) فضلا عن مشاركته منذ العام 2002 في تقديم برنامج تلفزيوني

هذه الفكرة في مشروعه النقدي[2] الذي مهّد له طيلة عمله في جامعة ميونيخ وجامعة هامبورغ الألمانيتين من عام 1968 وحتى العام 1974.

إن الذي يميّز التفكير والأسلوب المبتكر عنده أنّه ينمي على ثقافته المعاصرة ،من خلال "دفع حدود المنتدى التقليدي للماهيّة ومن ثم تحديد المفاهيم العامّة ليس فقط من خلال التحوّل إلى المرحلة الأكاديمية التقليدية وإنما إلى الإعلام الجماهيري"[3] ما يفسر سعيه نحو التجديد والتغيير، بل وإحداث تقلبات في النظرية النقدية، ما يهّمنا في الإنجاز النقدي هو الرّابط الذي يجمع بين مشروع الكرات خاصته والقاعدة الفلسفية لنظرية القراءة والتلقي الألمانية، ومدى إمكانية توظيف ما تم ذكره سابقا على النصوص الإلكترونية والرقمية بوصفها أنموذجا للعصرنة والتطور والتكنولوجيا.

وفي مُعْتَرك حديثنا، كنّاقد أشرنا إلى مصطلح مشروع الكرات، فنحن نقدم تَعَجُّباً بارزا لوجود هذا المصطلح في الخطاب النظري المعاصر؛ فيّرى

شهير بعنوان: (في بيت الزجاج: اللّجنة الرباعية الفلسفية) الذي تعرضه قناة ZDF الألمانية المكرسة لمناقشة القضايا الفلسفية المعاصرة بصورة معمقة.

ينظر، أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مؤمنون بلا حدود المغرب الرباط، 2015، ص2.

[2]ينظر، أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014، ص153.

[3]أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص155.

سلوترديك أنّ ثقافة ما لا تحمل مفردات كاملة عن نفسها" [1] هو ما يجعلنا نقول بأنّ ما يمكن أن تُرسيه ثقافة، هو ما كان ظاهرا، أو ما يمكن له أن يظهر عاجلا أم آجلا، ومقارب للسائد الأعم، إلاّ أن الكشف عن محدودية الأفق المعلن سيبقى مُختزلا داخل معالم غير ثابتة، وغير محدودة، فالاعتبار الذي يؤدي إلى إنجاز محقق، أو يمكن تحقيقه داخل ثقافة معينة، قد يفترض منّا قراءة التشفير الرّمزي وقوته على فهم العالم، واستنطاق الاحتمالات الممكن إدراكها على الأقل، "(...) وتؤكد لعبة الكلمات الحالية على تحديد موضوعات وترك غيرها من الظواهر دون معالجتها. وهذا ينطبق كذلك على مفردات النظرية في أواخر القرن العشرين، ويمكن للمرء في العقود الماضية أن يتكلم بشكل متفق مع فارق بسيط عن كلّ ما يتعلق بالتركيب الزمني في العالم الحديث" [2]؛هنا يعاد فهم المنطق بشاكلة معينة.

على هذا الأساس؛ يمكننا الأمر من خلق تصوّرات جديدة أكثر انفتاحا وأعمق بلورة، إلاّ أنّ اللاّزمة الوظيفيّة للمعرفة تحددّ لاحقا أي بعد تحديد سياقها الإنتاجي عندها نقول:تحققت عملية البَنْيَنَة Process of Structuring [3] أم لا. ويبقى الأمر غير محقق إلى أجلٍ معيّن لأنه "قد

---

[1] المرجع نفسه ص163.

[2] المرجع نفسه ص163.

[3] محمد بوعزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2014، ص16.

نشرت أطنان من الكتب تتحدث عن الدفع نحو الماضي Historicization، والتوجه نحو المستقبل Futurization، وتجهيز كلّ شيء ومعظمها ليس مقروءًا الآن، وعلى النقيض من ذلك، كان لا يزال من الصعب نسبيا قبل عشر سنواتٍ تقريبا التعليق على نحومعقول على مكانية الوجود: Spatialization of existence"[1]، فإذا ما استقصينا الخطاب الرّاهن، حول إمكانية وجود قوة خطابية تحل محلّ المطلق الدّائم، وكأنّها قدرٌ حتمي، فتبسط الماضي في كَفَّةٍ، وتُعلي المستقبل في كَفَّةٍ أخرى؛ أو العكس، عندها يَمْتَثِلُ لنا الثّابت المتحوّل على شاكلة المتغيِّر الثّابت، حينها ينبثق على هامش التعلي لإمكانية الوجود Spatialization of existence كما سبق الذِّكر، فهل يفك هذا التحول شيئا من المتغيرات والثوابت؟.

إنَّ المنطق النقدي لا يتنافى وحدود المعرفة المعطاة، إلاّ أنّه ليس من الصحيح –بقدرٍ ما– أن تُعمَمّ على جميع المراحل المعرفية، فالتركيبة الذّهنية

[1]أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعدما بعد الحداثة، ص163. وفيها قوله«(...) في العالم الحديث، ضبابٌ كثيف يغطي فضاء النظرية، وحتى وقت قريب، كان هناك عمى مكاني طوعي وبسبب المستوى الذي كان ينظر فيه إلى المشاكل الزمانية بوصفها تقدمية ورائعة، كان يُعتقد بأنّ قضايا المكان قديمة ومحافظة، وتهم الرجال من الطّراز القديم والامبريالي، كذلك الفصول الساحرة عن الفضاء (المكان) التي كتبها دولوز ونحو اثاري في ألف هضبة لم تغيّر الوضع لأنهما كانا سابقين على عصر مولع بعبادة الزمن، وينطبق نفس الشيء على مقترحات فوكو المتأخرة الذي يرى بأننا ندخل مرة أخرى عصر الفضاء (المكان) الذي لم يكن لنا أن ندخله في تلك الفترة حتى ولو انتقاليا».

تختلف، وتتطوّر، وتتعالق، وتتباين من مرحلة إلى أخرى، كما أنّ بتير سلوترديك يوضح مليا في الفقرة السابقة استحالة الوقوف على مستوى معرفي واحد، حتى في الثقافة الواحدة كما سبق الشرح، ويشير إلى نقاط مهمّة جدّا أثناء حديثه كتأجيل التأويل والتفسير للحوادث والتي يُعتقد أنها تتطلب ذلك في زمانها وأوانها، فرهان الزمان والمكان والسياق لا يمكن لها أن تبرز الحقائق. وتعطيها الأبعاد التي من المفروض والمعتقد بروزها وفهمها وإدراكها انطلاقا من المعطيات المقدّمة من طرفها أي: الزمان، والمكان، والسيّاق...مع إمكانية توافق/ عدم توافق محطات الحاضر والماضي/، الحاضر والمستقبل/ الحاضر والحاضر/ الماضي والمستقبل/، المستقبل والماضي حيث ترتكز هذه المفاهيم على قاعدة فلسفية، تختلف كليّة عن الفلسفات المواكبة لأفكار وطروحات تلك المرحلة، وعلى الرّغم من تعدد المساحات المنتجة للعوالم اللاّمتناهية، إلاّ أنه من الممكن، بل من الضروري الممكن، تحديد المفاهيم والمدركات المعرفية التي تخضع الإنتاج إلى نمذجة تبلور الشاكلة النهائية للإنتاج الكلي طبعا مع وجود جدلية قائمة حول صياغة التواصل وترجمته إلى صيغ مفهومة أو بنية مفهومة، أو يمكن فهمها على الأقل.

نحن أمام تجارب مناهضة للماضي، طوفان من التحولات المعاصرة، لتُرسم آفاقاً جديدة، تحمل خلفيات، بحدين مختلفين: "دفع نحو الماضي

Historization والتوجه نحو المستقبل Futurization"[1]، هنا، يبدو من نافل القول، إنّ نجاعة هذا الدّفع أو التوجه، إنّما يرتبط برؤية محددة للعالم والإنسان على حدٍّ سواء، لأنّ تكريس هذه الرُؤى على شُعَبٍ مختلفة، يفرض استقلالية التطبيق، بعيدا عن الشعارات المَعلبة، واحتراما للمهام النقدية التي يفصح عنها الرأي الآخر على أساس أن هناك قوة خطابية تواجه الخطاب ذاته، ودوما عن تلك المسافة الفاصلة بين الحدّين، سنجد ما يعبّر عنه، بشرعية الانتقال الخطابي النّظري النّقدي، بحثا عن المعنى المنفلت من قبضة الحقيقة المطلقة أو من عقال الهيمنة النقدية المتسلطة. "ففي المجلد الثالث من الكرات وفي فصل طويل بعنوان مدينة الرغوة يحاول سلوترديك أن يصف هذه المضاعفات من الحياة العصرية بتوظيف مصطلح صناعة الرغوة foammaking كلّ فرد يعيش في فقاعة محددة داخل رغوة التواصل"[2]فاللّحظة الفلسفية التي يضعنا فيها بيتر سلوترديك، توحي بأنّ لمدينة الرغوة، عمق تحليل ذا أفقٍ متباعد بين البَيْن، إلى غاية أن يكون الأمر يقينيا، وذلك بطرح تساؤل الحداثة وما بعد الحداثة، وفي مساحات كبرى من التحولات..

وفي "رغوة التواصل" نجد ذلك الظهور الوصفي المنكمش والمحتمي داخل سديم ما يسميه سلوترديك بـ: "صناعة الرغوة"، فإذا اعتبرنا الفرد

[1]أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعدما بعد الحداثة، ص163.

[2]المرجع نفسه ص167.

كائن يعيش في ملجئ الذات المنعزلة، فماذا نقول عن بوصلة الذات المهرولة نحو المعنى من خلال الشدّ على التأويل عن طريق القراءة؟، تفضح جملة السؤال الوجه الحقيقي، المعبر عنه برغوة التواصل لدى سلوترديك "و"مدينة الرغوة" هي نظرية للعيش في شقة والشقة هنا هي المكان الذي يحتوي على وسائل الاتصال اللازمة مع العالم الخارجي، إلاّ أنّها أيضا نظام مناعي مكاني إنه يحصنّك ضدّ تأثيرات العالم الخارجي ولكنه في الوقت نفسه يربطك بالعالم الاجتماعي الذي هو شكل من أشكال "العزلة المترابطة"[1]؛ الأمر أشبه بعناق فراديس مفقودة كأن يصنع الفرد الواحد من "مدينة الرغوة" مصيرا اجتماعيا بعينه –دون الآن– لتحقيق منظومة "رغوة التواصل"، ليحدّد– لاحقا– توافق/ عدم توافق: سلوكاته، تصرفاته، عاداته، انتماءاته والأهم تغيراته مع مجتمع الرغوة، يتحقق هذا؛ بعد أن يستسيغ مجتمع الرغوة أداة أداتية فاعلة مناعية تخصّه هو الآخر دون غيره، فيختار –حتما– أداة خارجية للنفخ بها، حيث تكون صالحة للإمساك بتلابيب كلّ فقاعة على حدة. ما يحقق العزلة المترابطة التي تعطي للمكان أهمية على غرار الزمن[2]. وصولا إلى هنا؛هل يقتضي هنا القول

[1]ينظر: أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، ص11.

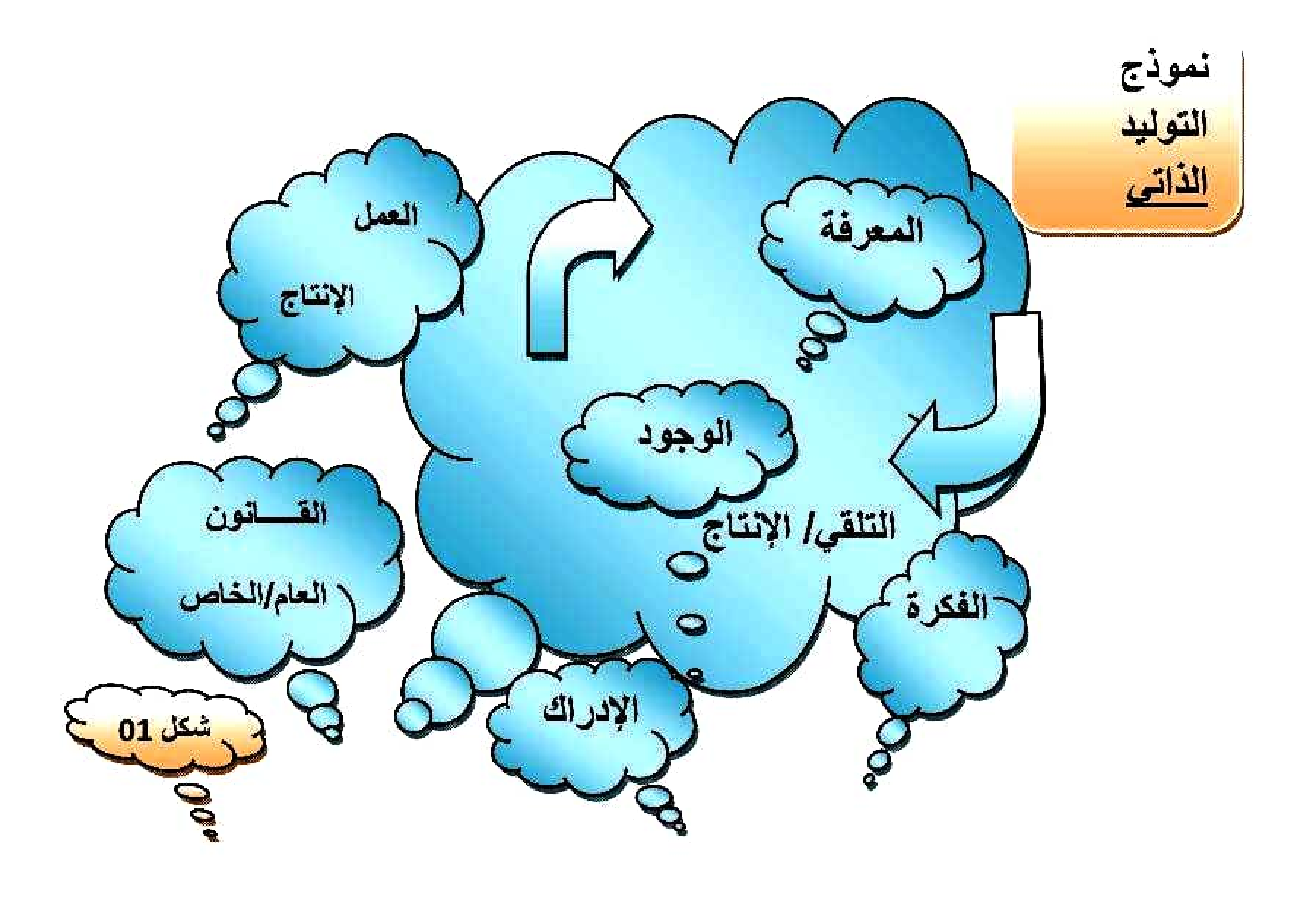
العزلة المترابطة: وهو مصطلح ابتدعه توم ماين، المهندس المعماري الأمريكي في أوائل التسعينيات (...) إنّه على الأرجح واحد من أكثر المفاهيم العميقة التي لم يسبق أن وضعت داخل النظرية المعمارية الحديثة.

[2]هل يمكن أن يلتقي بيتر سلوترديك بجلجامش؟ (عشبة الخلود/ مدينة الرغوة).

بأن اكتشاف سؤال قيمة الحداثة ومستقبل ما بعد الحداثة بات من السّهل الإجابة عليه؟.

انفتاح الفكر على مشروع سلوترديك، يحيلنا إلى مدى ضرورة إعادة ترجمة كلّ المعطيات النظرية في كل الفصول المرتبطة بالحداثة وما بعدها؛ فالحقيقة الموضوعية تكشف لنا عن كونية عيشنا إحياءً جديدا، تتزاحم فيه المعطيات القديمة بالراهنة، لتكوين الحالة المقرّرة للفكرة التواصلية وأنّ هذه المقاربات أقرب ما تكون إلى إدراك ما نعرفه وما نريد معرفته وما نخشى معرفته؛ نحن لا نختلف عن قولنا بأن غمار المعرفة وإيجاد التدبير المستقيم لها، يجعلنا نكسب وعياً وإدراكا، كوننا متلقيين في الوجود مع توافق التكامل المعرفي بدلا من التجزؤ الإنتاجي، على أنّه منتجٌ أيضا، وعلى هذا الأساس فإن العارض العام سيخضع من حين إلى آخر ووفق رغوة تواصل سلوترديك إلى النمذجة التالية[3]:

[3]انطلاقا من خاصية (التحديد/ اللاتحديد) نقوم بربط نموذج التّوليد الذّاتي للإنتاج/ التلقي بالرغوة وصناعتها وفقاعات التواصل، فظهور الفقاعة جميل ومغري نحن نستمتع بذلك التوالد لها، لكن وفي المقابل، لها سرعة التلاشي والانفجار، لكن ستخلف حتما فقاعات أخرى لخلق فقاعات التواجد الإنتاجي/ التلقي، وهكذا يسير نظام التوليد الذاتي.



تَسوقنا الرغوات الممثلة في الشكل (01) إلى استنباط جملة من الاحتمالات المكوّنة أو التي ستكوّن -على الأقل- مجالاً لامحدوداً من الانقلابات أو التحولات نذكر منها:التخمين، والتأويل، والتفسير، والفهم، والإدراك، والتجاوز، والتعقيب، والملاحقة، والإقرار، والتجاوز مرة أخرى، والتعديل، والتسارع ... ،فيحيق كل ذلك إلى الغربلة بالاختزال، للأنظمة الدّالة والأنساق العامّة المؤسِّسَة بذلك جُلّ المفاهيم

"التي تستوعب أيّ شيء وكلّ شيء"[1]، داخل فقاعة أكبر؛ فقاعة ما بعد حداثية، وكأننا سنتعامل مع عالمٍ وجد في المجال المفتوح واللاّمحدود ضالته، وفي مثل هذا السياق؛ تتشكل المعارف النظرية بحلّة جديدة، انطلاقا من الإقرار العام على وجود تحولٍ كبير تعيشه الذهنيّة، وذلك أنّ هناك نمط في التفكير مغاير عن سابقه، اكتساح من نوع آخر لجيل تتحكم فيه متغيرات تسمح بالإنتاج الجديد، ويمكن الزعم بأن هذه المتغيرات ليست مجرد أساليب للبناء والإنتاج فحسب، بل هي منظمة مُهيكلة داعية للمجالات الأوسع وتحت إلحاح العصر وما بعد العصر، قيام استجواب مُعمَّم، حول مصير العالم بعد انفجار هذه التحولات الكبرى، على جميع الأصعدة، كتجربة لقيام عصر جديد حامل للمفاهيم والمعالم الجديدة، وكبداية استقلال تكامل المعارف، مستخدمين في ذلك (التحديد/ عدم التحديد) انطلاقا من تشظي طبقات المعرفة حيث يخلص الحديث وفقا لما قاله سلوترديك؛ إلى وجود لثامٍ قد تميطه الدراسات النقدية في شعارات جديدة، وقد تحسن أخرى في تجاهله واعتماد كلّ ما هو قديم وتراثي فقط.

---

[1] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 2003، ص521.

نحن أمام "شيء في شيء آخر، و: شيء ينتمي إلى شيء آخر، لا يجب أن يؤخذ بمعنى واحد" [1]، فهذا التوثيق الذي يصنع اللّحظة الحاسمة للتغير لا تزال دعائمه غير ثابتة، ما يبرر ذلك تهافت الرؤى عند زيجمونت باومان[2]،فهو الآخر "لا يعطينا لقطة ثابتة لصورة ساكنة"[3]بل يُميّع لنا المفاهيم والمدركات كلّ حسب الحيز الذي تشغله مسميّا كل التحركات والتحولات في ظلّ رهانات العصر بـ"الحداثة السائلة" التي تقوم على منطق الاستهلاك بمعناه العميق للمكان والقيم والأشياء والعلاقات في ظلّ عصر العولمة[4]، ذلك أنّ محاضن التحوّلات خلقت إشكالات بالجملة، لتعيد بناء المشهد من جديد وسط أنواع من الاستلزامات العائمة والسّابحة في سيولة

---

[1]لوس إيريكاري، كيف تشارك المادة في الأفكار، تر: عبد الرحمان مزيان، مجلة لوغوس، تصدر عن دار الكنوز، تلمسان، الجزائر، ع الأول، جويلية 2012، ص146، 147.

[2]زيجمونت باومان: ولد عالم الاجتماع البولندي يوم 19 نوفمبر 1925، شغل منصب أستاذ علم الاجتماع في جامعة ليدز سنة1971، عرف عنه أنّه سوسيولوجي الحداثة وما بعدها، حيث تشكل مؤلفاته التي ترجمت إلى العديد من اللغات حاجة ملحة لفهم الواقع المابعد حداثي، فقد عمل على المزج بين علم الاجتماع، والأدب الشعري والفلسفات النظرية في مختلف أعماله، فالحداثة وما بعدها هو أهم مشروع بدأه، حيث توج في مطلع الألفية الثالثة بكتاب يحمل عنوان "الحداثة السائلة" لوضع رؤية عامة وشاملة للفكر والمجتمعات الغربية خاصّة. ينظر: عبد الإله فرح، زيجمونت باومان والسوسيولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانيّة، الرباط، المغرب، نوفمبر2017، ص13.

[3]زيجمونت باومان، الحداثة السّائلة، تر: حجاج أبو جبر، تق: هبة رءوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص12.

[4]المرجع نفسه، ص12.

العصرنة، لكنّ توظيف باومان للسيولة لا يعني أنّه يساويها بالفوضى إلى درجة انعدام أو تهاوي النّسق أو النموذج أو المنهج[1] بل بقدر ما نحو التكيّف، ومسايرة الحالة التي ترمي إليها الواقعة الحالية. فالحداثة السائلة، تستكشف في صورتها العامّة الأنماط الجديدة القابلة للتجربة والقياس والفرضية والنتيجة، ليس من جهة الإلزام بقدر ما تميل إلى جهة الإفراد العملي المكيّف وفق رؤى وتصوّرات تأخذ انعكاس النموذج السائد والراهن، "لأنّنا نواجه الآن فترة من فترات "خلو العرش"، إنها فترة تتعطل فيها الممارسات القديمة ولا تصلح فيها أنماط الحياة القديمة والمتوارثة أو المكتسبة في التعامل مع الوضع الإنساني الراهن"[2]،لهذا التوصيف حَدّان اثنان، حدّ يرفض التعامل مع كل ما هو قديم متوارث، ومكتسب، على أنّه حد لا يستطيع مواكبة الإنسان والرّاهن من الزّمن، وحدّ مازال يتعطش إلى مستقبل جديد، وحالم، لم يكتف بأنماط الحياة الجديدة وتحدّياتها، وإن بدا التفكير في لاحق الأمر، بعيدا كلّ البعد عن وجود حقيقة ثابتة، "فلا نعلم حتى الآن الأنماط والأطر الأخرى التي لابد من "إذابتها وتمييعها" واستبدال أنماط وأطر جديدة بها، وإن بدت جميعها غير محصّنة من النقد، وإن كانت جميعها قد خصّصت للاستبدال"[3].من أجل هذا؛ نجد أن التغير الدائم، والتحديث، والتحيين في مجالات عديدة لأمر

---

[1] ينظر: زيجمونت باومان، الحداثة السّائلة ،ص15.

[2] المرجع نفسه، ص25.

[3] المرجع نفسه ، ص25.

بات من أولويات الفكر، ومن أبرز موضوعات النقد عموما. وأن يدخل هذا الأخير "عالم الصيرورة" الدّائمة، رافضاً الاكتمال والتعريف التام"[4] وما يمكن الوصول إليه غالبا، "لا يعد وأن يكون تسوية لحظية أخرى يعلم الجميع أنها حالة مؤقتة "حتى إشعار آخر"[5]، وهكذا هي الحداثة وما بعدها على نظام الصّيرورة تعتمد. وعلى هذا؛ فإن الحديث عن ما أسماه باومان بالحداثة السّائلة، إنما هو حديث عن "ما بعد الحداثة" فعدم وجود الحدّ النهائي للحالة هو الأصح، أي دون وجود "حالة نهائية" في الأفق، ومن دون رغبة في وجودها [1].

تَنُوءُ هذه الدّغدغة في المفاهيم والمدركات والنظريات، إلى وجود حملٍ ثقيل متباعد الحمولة، متقارب السُّمك، يعمل جاهدًا على جعل اللّحظة ذات أفق حريّ بنا أن ندعوه بالأفق المفتوح، أو الأفق الخفي لمستقبل مجهول. وعليه ، علينا أن نحدد بداية مصطلح السيولة من جهة التوظيف الشارح والقاصد للفكر المعاصر، وعلاقته بالنقد والتنظير الأدبي عموما؛ هنا نضع كلّ المفاهيم التي تبلورت في الحداثة وما بعدها، إلى امتحان سؤال العولمة والتطوّر التكنولوجي، كأن تظهر هذه الأخيرة إحدى مقوّمات الفكر ودعائمه أو من أساسياته ومرجعياته الحاضرة تحت ضغط

[4]المرجع نفسه ،ص26.
[5]المرجع نفسه، ص26.
[1]: ينظر: المرجع نفسه، ص27.

العصر،"ولنا جوازا أن نفهم السيولة بأنّها المرونة التي تقف في وجه الصّلابة في كلّ الميادين" [1] أي هي التّوصيف الحالي للحياة المعاصرة ومدى تأثير ذلك على كلّ الميادين، ما يؤدي بالفكر إلى استخلاص تقنيات جديدة لفهم النظريات والمجالات العامّة والخاصّة، وقد تكون العملية لملء خواء منهجي، أو إضافة ما كان ناقصاً، أو زيادة معالم إلى أخرى، فمفهوم السيولة كما يوضحه باومان، هو ما يجب علينا إدراكه على أنّ هناك تغيراً في المفاهيم، ووجود صراع واضح بين ما كنا نتصوّره وبين ما تمّ طرحه من تصورات جديدة عن كلّ ما يحيط بعالمنا، [2] والواضح هنا وجود عالمين يتصارعان: عالم واقعي (زماني) وعالم افتراضي (تفرضه العوالم التكنولوجية).

وعلى هذا الأساس ينبغي علينا نقل هذه التحولات الكبرى التي تشهدها الإنسانية جمعاء إلى النقد والأدب، من منطلق أنّ النقد والأدب وجهان لعملة واحدة من جهة، ومن جهة أخرى، أنّ الأدب قد انتقل من الحالة الورقية إلى الحالة الإلكترونية. ومن هذا الباب نكون قد دخلنا ذلك الصراع بين الورقي والإلكتروني، وبين تطبيق النظريات النقدية على هذا

[1] يسرى وجيه السعيد، مصطلح السيولة المعاصرة وارتداداته عند زيجمونت باومان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، ديسمبر 2016، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص14.

النص الإلكتروني، وبين إعادة فهم النقد والأدب تحت ظلّ هذه التغيرات جميعا[1]"فالسيولة التي تتسم بها أزمنتنا جعلت كل شيء في حال مخاض دائم"[2]فنحن أمام ترسيم لا محدود ولا متناهي للمفاهيم والمدركات بحثا عن إجابة صعبة الإمساك، على أن تقدم جاهزة، وهو الأمر الذي يجعلنا نقرّ بأن للنظريات النقدية والأدبية قواعد تخضع لمتالية زمنية تشكل محورا كبيرا في قراءة ما استهلك بشيء من التكرار والبحث عن نماذج أخرى تمكننا أو تحفزنا بالأحرى، على فكّ عقال الثابت المتحوّل، والمتغير الثابت طبعا في ثنايا تعليل إمكانية الوجود، [3]Spatialization of existence.

دون شك،ومن المؤكد أننا نمر بمرحلة الاستهلاك، ونأخذ للاستهلاك المنحى العميق لا السّطحي، فدينامية المؤقت تحكم الغالب الأعم، من ناحية، ومن ناحية أخرى، حتمية الاستهلاك السريع كمعبّر عن احتمالات عديدة ،يدفعان بالمفاهيم والمدركات والأشياء، إلى قوانين لعبة جديدة، لكن إلى حدّ ما، ليس الاختيار فيها عاملا محرّكا بقدر ما تفرضه الكينونة والوجود من قوانين استثنائية توجّب العمل بها واتخاذها سبيلا آخر

[1]يخلق التماهي في مفهوم الحداثة السائلة وأبعادها العميقة، جملة من التساؤلات منها: في ظل السيولة المعاصرة ووجودنا في عصر مولع بالعولمة والتكنولوجيا، هل يجوز لنا اختلاق تصورات جديدة تمكن لنا فهم النظرية النقدية بشكل مغاير للمفاهيم السابقة؟ - ماذا عن النص الإلكتروني والتفاعلي ووجوده بين طيات المفاهيم الجديدة لنظرية القراءة والتلقي؟.

[2]أنديرا مطرا، عصر "الحداثة السائلة" أفول الإنسان العمومي، القبس الإلكتروني، 14/ مارس/ 2019، 17:52.

[3]ينظر، المدخل من هذا البحثص10.

لصناعة وإنتاج الجديد في وقته فنحن أمام عمل إنتاجي لآليات إنتاج المعنى والخطاب في عصر إتاحة المُفرط وتهافتنا عليها[4].

تُعزى الشبكة الكثيفة من علاقات الاعتماد على المناهج النقدية المعاصرة في التحليل والاستنباط، إلى تعدد الفهم والإدراك من جهة، وإلى متغيرات العصر من جهة أخرى، ونحن لا نختلف كليّة؛ في ما هو ثابت ومتأصّل، بل نحن نقابل ولدنة جديدة تُعزَّى إلى انتشار الفهم والإدراك بشاكلة مغايرة من جهة، وإلى متغيرات العصر من جهة أخرى أيضا، وهو الحال الذي تفرضه ثقافة العصر الراهن أو ما نعبر عنه بروح العصر،وهنا يمكننا القول بأنّ مصير المعرفة الجديدة اليوم؛ هو مصير متعدد القوى بحيث لم تعد هناك قوة واحدة تستطيع أن تزعم بحقها المطلق أو النفوذ الذي لا حدّ له[1] ما يجعلنا نؤمن بفكرة الفردية أو الدّور الفردي في انتقاء واختيار الشاكلة المنهجية (تنظيرا أو تطبيقا)، طبعا ذلك يكون مقترنا بالأولويات

[4]نحن لسنا أمام الإجابة عن ما إذا كانت هذه الحداثة السائلة أفادت أم لم تفد الإنسان، أو أنها إيجابية أم سلبية النتائج، فنحن امام باب نرى أنه من الأفضل أن يفتح جيّدا أمام النظريات الأدبية والنقدية، بما فيها نظريّة القراءة والتلقي على العالم الرّاهن وكيفية تعاملها معه، فهل ستتغير مفاهيمها وقواعدها لنرى نظرية جديدة انبنت على قواعدها مع إضافة التكنولوجيا والعلوم والمعارف المعاصرة؟.

[1]ينظر: هبة عزت رؤوف، الحداثة السائلة، من فعاليات البرنامج الثقافي المصاحب لمعرض الكتاب العربي الأول في اسطنبول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، موقع يوتيوب، 17/ 03/ 2019، 16:42.

اللازمة التي يتطلّبها كلّ منهج مهما كان، "ويضرب باومان مثالا على دور الفرد في عالم اليوم، فالرجل الذي يجلس على مائدة حافلة بأطباق من أشهى أصناف الطعام، الخيارات كلها متاحة أمامه في أن يتناول ما يريد وأن يترك الباقي، وهو بطبيعة الحال يأمل بأن يتذوق جميع تلك الأطباق، وهنا تظهر أهم التحديات أمام المستهلك في عصر الحداثة السائلة، وهي مسألة (تحديد الأولويّات)"[2]؛ فالفردية بحسب باومان، هي الروح المستقلة المشكلة للانتقاء، فأصبح العالم خاليا من ذلك الأخ الأكبر الذي ذكره جورج أويل في روايته 1984[3]، المراوغة والهلامية تجاوزت المفاجأة الحاملة للمفاهيم الراهنة، دعونا نقول المابعد حداثية."وكان الناقد الأمريكي الكبير إيهاب حسن المصري الأصل، قد أوضح في مقال له عام 1980، بعنوان "قضية ما بعد الحداثة" بأنّ زمن ما بعد الحداثية هو زمن استحالة التحديد"[4]، وعليه نجد أنفسنا نقف أمام مفاهيم تحمل -جوازا- ما يلي:هلامية المفهوم، مراوغة للأسس والمعايير، متجاوزةً للحدود والضوابط، مفاجأة حاملة لعنصر الدّهشة، مستترة خلف السؤال الدائم، والبحث المتجدد؛ فلا تقبعلى التعيين مرجعيّاتها ومحاورها ونظريّاتها.وفي وقع حديثنا؛ قد نوضّح متسائلين: هل هناك تقابلات بين المفاهيم الحداثية وما بعد حداثية؟

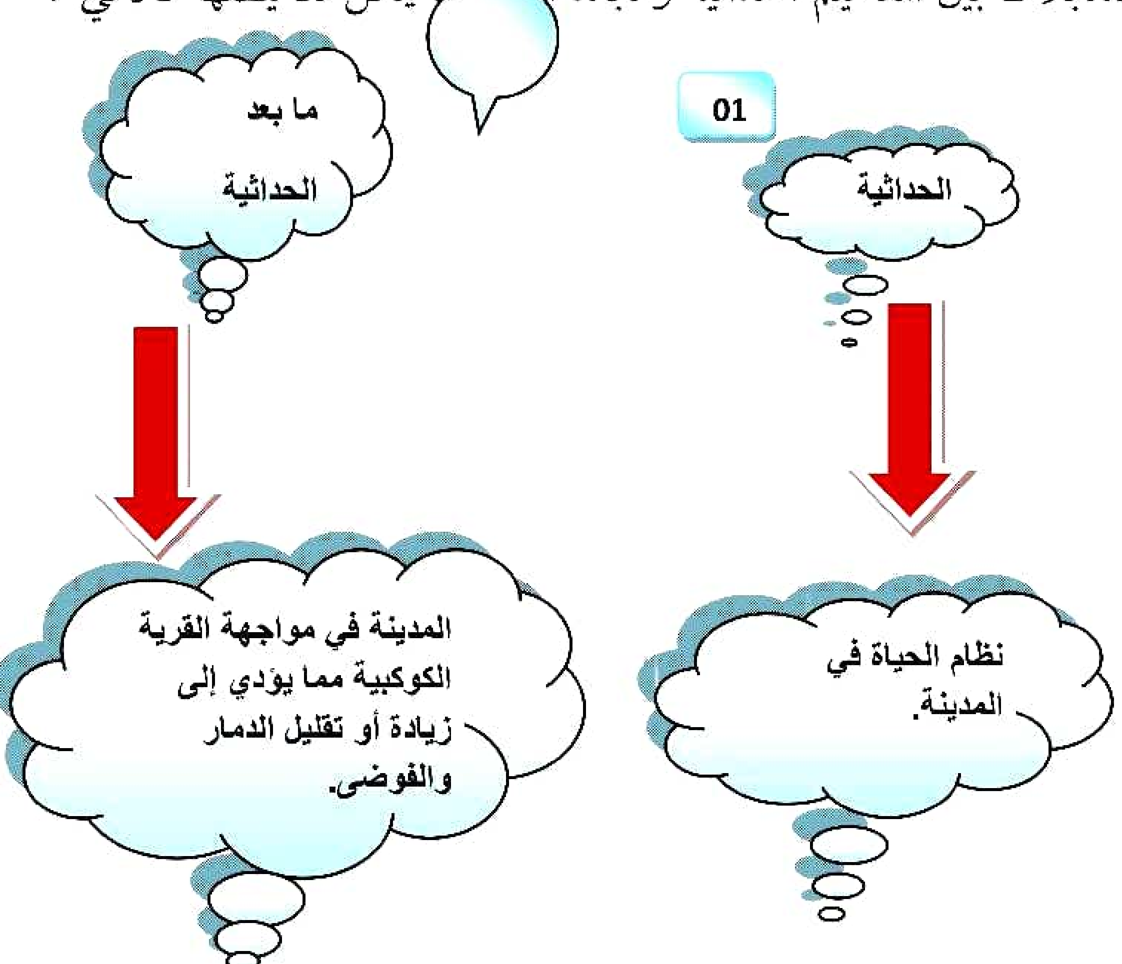
---

[2]محمد يسري أبو هدور، عندما تصبح الحداثة سجنا للإنسان، الميادين نت، 17/ 03/ 2019، 18:44.

[3]ينظر: زيجمونتباومان، الحداثة السائلة، ص104، 113.

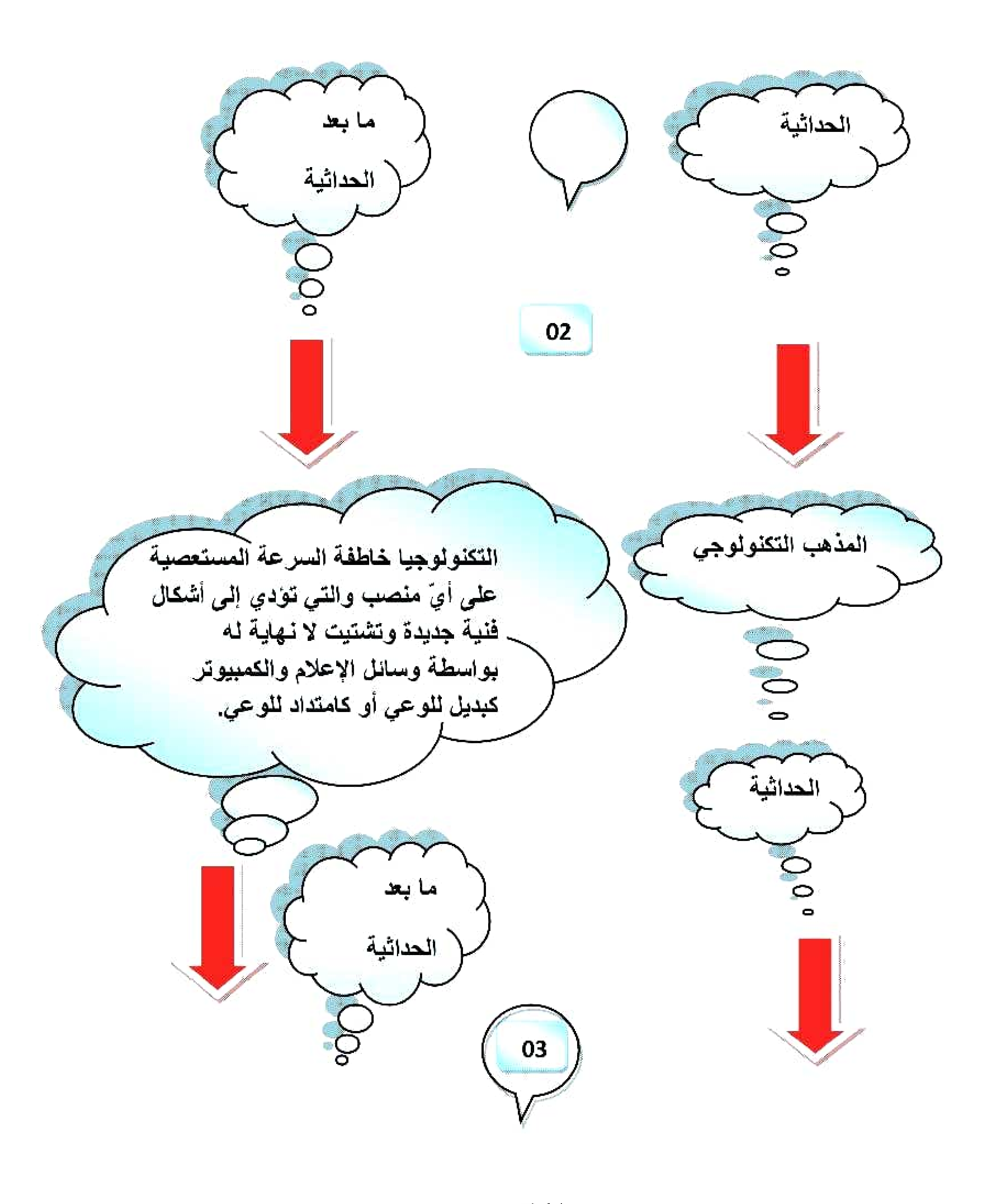
[4]نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص521.

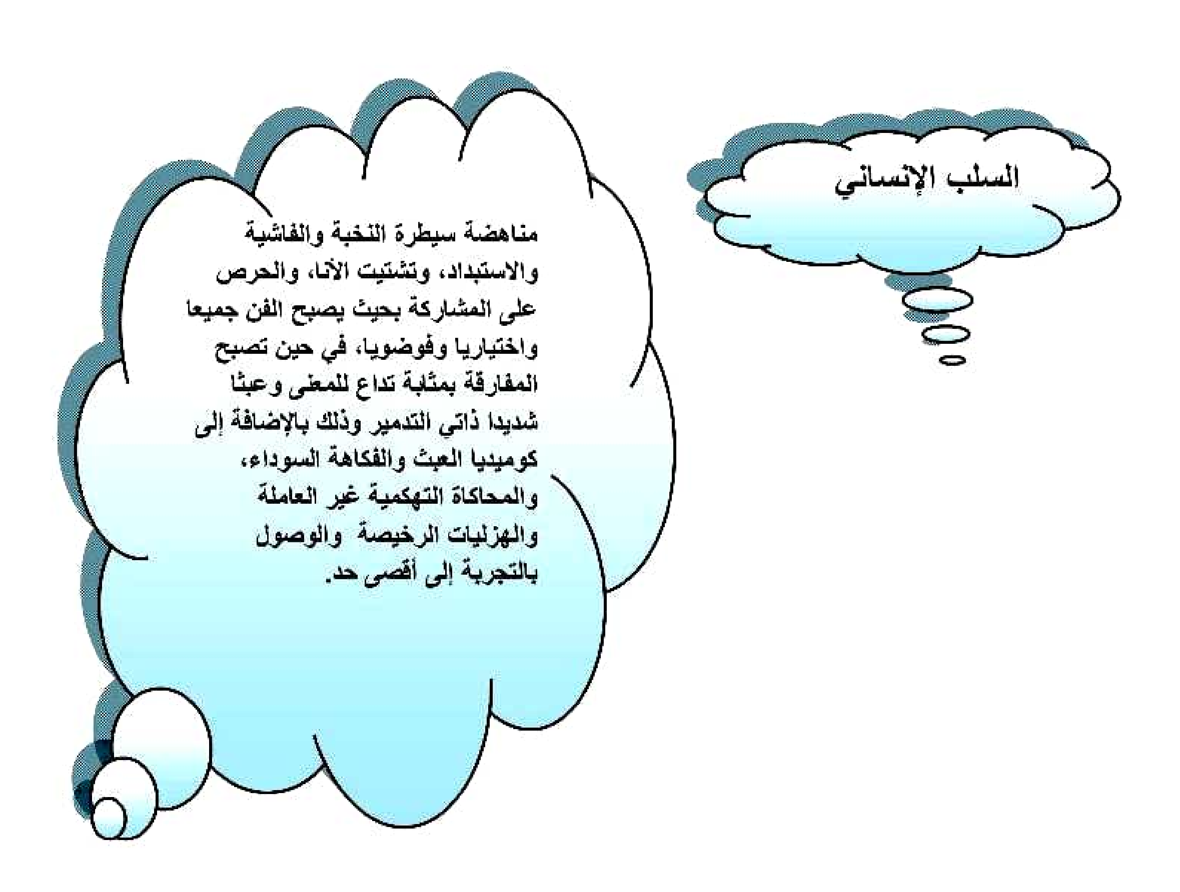
،نحن أمام آفاق متباعدة وأخرى متقاربة، وأخرى متقابلة أيضا، فهذا إيهاب حسن[1] يقدم لنا في سياق الممارسة والتعليل والترهينسلسلة من التقابلات بين المفاهيم الحداثية ومابعد الحداثية يمكن تلخيصها كالآتي[2]:



[1]إيهاب حسن: يؤرخ لما بعد الحداثية منذ عام 1971، فهو من أئمة النقاد الذين ركزوا على المابعد حداثية في النقد والدّراسة، كما يصنف من الرّواد الموضوعين الذي يكشفون عن سلبيات ما بعد الحداثية، ينظر: نبيل راغب موسوعة النظريات الأدبية ،ص535.

[2]ينظر: نبيل راغب، موسوعة النظريات النقدية، ص537.


الحداثية
ما بعد
الحداثية
02
المذهب التكنولوجي
التكنولوجيا خاطفة السرعة المستعصية
على أيّ منصب والتي تؤدي إلى أشكال
فنية جديدة وتشتيت لا نهاية له
بواسطة وسائل الإعلام والكمبيوتر
كبديل للوعي أو كامتداد للوعي.
الحداثية
ما بعد
الحداثية
03



ومن ثم؛ فإنه من الإسفاف، بل ومن الخطأ أن لا نتحدث عن تحوّل دائم للنظريات النقدية، فنحن بحاجة ماسّة إلى إعادة ضبط المحتوى، مع مراعاة كلّ التحولات الرّاهنة التي ستدخل -لاحقا- النظريات إلى مراحل جديدة تحتاج منّا عُنصُرَيْ: المواكبة والإنتاج. وعلى هذا الأساس نحن بصدد تفكيك الواقع والثقافة والفكر، ما جعل سعيد يقطين في مؤلفه، من

النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي إلى وضع وتحديد رهانين اثنين: [1]

-دخول العصر، والعصر الإلكتروني، أو ما يسمى عصر المعلومات.

-أن يكون لها موقع، ووجود وتأثير ضمن باقي الثقافات.

وبدخول هذين الرهانين إلى عالم الإنتاج/ التلقي، من الممكن بل من الضروري الوقوف على كلّ النظريات المطروحة في الساحة النقدية والأدبية وإعادة إعطائها روحا جديدة، تخضع لرهان العصر، فالمعايير الجدلية التي تخلقها رهانات التحول تجعل من النموذج القائم نموذجا لا يكتفي بأحادية الإنجاز، أو الحقيقة المطلقة –إن صح التعبير- ؛ وبهذا المفهوم، يعرج بنا الخطاب المابعد حداثي، إلى نمذجة تتميز "بالأشكال المفتوحة، المرحة المتقابلة الطموح الانفصالية المتروكة بدون تحديد لتكوين خطاب مؤلف من شظايا أو أيديولوجيا التصدع التي تعتمد إلى التحليل والفضّ، وتستنطق الصّمت" [2] وهو الذي أشرنا إليه سابقا تحت مصطلح استحالة التحديد فتكون الدائرة محتواة في المصطلحات التالية: اللاثبات، والحركة المستدامة، والتجاوزات، والانتهاكات ...، القدر الذي يجعل التأويل أكثر انفتاحا ومواكبة لأنماط وأشكال التحوّلات الكبرى الخاضعة

---

[1] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص17، 18.

[2] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص543.

للمعطيات المتغيرة الفضفاضة التي لا تركن إلى ثابت معين ،فنجد أنفسنا دون أيّ مطّة بداية أو نقطة نهاية، الأمر الذي يجعلنا نقرّ بوجود صور جديدة للتواصل، فيضطلع في الغالب الأعم إلى تحديد معارف جديدة حيث يؤدي ذلك إلى خلق أداة جديدة للتواصل في مقابل إنتاج أشكال جديدة للتواصل، نتيجة وجود تفاعل مع بعضها كلّما قيض لها ذلك [1] فالعالم المعاصر بكل تجلّياته الجديدة أصبح فقاعة رغوة، تختلق باستمرار استجابات جديدة ولحظات حاسمة، [2] ما يؤدي بنا إلى اختراع مفردات جديدة تماما للنظرية النقدية عموما ولنظرية القراءة والتلقي تحت ضوء الأدب الإلكتروني خصوصا. واعتقادنا بهذه الضرورة والحاجة الماسّة إلى خلق هذه المفردات يلخصه سلوترديك مجدّدا بقوله: "إنَّ المصطلحات والمفردات القديمة أصبحت عديمة الجدوى لأن كلّ اللغات الطبيعية القديمة، بما فيها الخطابات النظرية، طورت لتناسب عالم الموارد الصلبة والثقيلة وتبعا لذلك فإنها لا تستطيع التعبير عن خبرات عالم الضوء والعلاقات. وهكذا فإنها غير مناسبة لرسم الخبرات الأساسية للحداثة وما بعدها التي ركبت العالم" [3].هذا بالفعل يسمح لنا بالاجتهاد نحو مساق

---

[1] لسنا أمام "الاستهلاك" المطلق والتام للمنهج وما يُروَّجُ له، من ثقافة عصريه سائدة، نحن أمام طرحٍ تفاعلي يتعالق مع الآخر في أصعدة عدة، نحاول فيه دمج الرؤى والنظريات بالطروحات الجديدة والتي نجدها تفرض نفسها بقوة، كما لا يخفى علينا القول بعدم التكرار والتقليد.

[2] ينظر: أماني أبو رحمة،أفق يتباعد من الحداثة إلى بعدما بعد الحداثة، ص182.

[3] المرجع نفسه، ص187، 188.

جديد يحوّل النظريات والقيم من طابعها المعتاد إلى ما يواكب العالم اليوم والفكر الحالي [1]، ما يجعلنا نرمي في هذا السياق إلى فاعلية الوسائط داخل المحتوى التواصلي بصورة تحدد معالم الخطاب المقدم بوجود تحقق منفتح يلامس أجزاء رهانات العصر وتحولاته على مختلف أصعدة التغيرات الدالة والغير دالة في السياق ذاته.

يجدر بنا القول، إنَّ العديد من النظريات النقدية انحرفت في معالجتها إلى أنظمة متعددة الأوصاف والظواهر، ففي خضم هذا المحيط المتلاطم الأمواج بسلبياته وإيجابياته، نلحظ توظيفات جديدة ذات أنظمة ذاتية في أي زمان بعيدا عن الرجوع التاريخي إليها[1]فالإنتاج يتفاوت بتفاوت حصيلة الأفكار العامة والتطورات، والتجارب والأطر المعرفية والقيم الفكرية وغيرها،والخصوصية الثقافية العلمية والأكاديمية باتت مجالا مفتوحا، لا يحمل صفة الانغلاق، فنسجل وفق هذا التصور اتصالات جديرة بالتحقيق، حتى وإن كان ضمان فعاليتها ونجاحها ضئيلا. فالجهد في فهمها بعلة العوائق ضئيل.

---

[1] لا يخفى علينا أن سلوترديك كان يوظف الصور، الأمر الذي يعد غريبا في الكتب الفلسفية، هو لا يوظفها للتوضيح بل بوصفها سرديات موازية وهي طريقة معاصرة تجعلنا نشير إليها مبدئيا على أنها صفة معاصرة قبل الدخول إلى عالم الميديا، ينظر: المرجع نفسه، ص188.

[1] لا يمكننا التعميم هنا، فخاصية الانتقاء سارية المفعول كلّ حسب الخصوصية الموائمة و الملائمة، كما أنّ التنويع الاصطلاحي وإن كان كثيرا، فإنه يفرض بالضرورة منهجا بعينه دون الآخر.

التحولات الوسائطية (الوسائط الجماهرية/ الوسائط المتعددة):

من الطبيعي جدّا أن لا تتأتى الفنون والعلوم على البشر، من السماء كمعجزة غيبية، بل تتبلور من جهود البشر أنفسهم، بهذا المعنى كان الانفجار الفكري في سائر المنظومات البشرية قائما على أسس ومعايير، تنبني وفق هالات لا متناهية من الوسائل التواصلية، ما جعل من عملية المثاقفة وسيلة هي الأخرى لتبادل الأفكار والتقنيات المختلفة، فيغدو التضخم المعرفي في زيادة هائلة على طول المساحات التراكمية الثقافية على تنوّع مشاربها واتجاهاتها؛ فعملية تحفيز العصب الاجتماعي الثقافي على اختلافاته الجمعية والذاتية، لم يكن ليأتي لولا وجود عامل مساعد للسيالة الانتقالية الحالمة والمتطلعة للجديد دوما، وعليه تولّدت وسائط متنوعة ومتعددة كي يكون لها الدور الفعّال في تنشيط ما كان وما يجب أن يكون كأقصى تعبير عن ما يريد الفكر الوصول إليه.

الوسائط الجماهيرية:

يشكل الجمهور[2] في الخصائص العامّة، قوى لها مفهومها الخاص، كما لها ثقافتها الخاصة أيضا، فالجمهور يمثل كلاّ متكاملا، يتضمن مسارات

[2] الجمهور: إن كلمة الجمهور تعني في معناها العادي تجمّعا لمجموعة لا على التعيين من الأفراد، أيّا تكن هويتهم القومية أو مهمتهم أو جنسهم، وأيا تكن المصادفة التي جمعتهم، ينظر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، تر.تق: هاشم صالح، دار السامي، لبنان، بيروت، ط1، 1991، ص53.

مختلفة تجعله قائما على صفة الخصوصية المطلقة، لأنّ الرسالة الجماهرية تخضع إلى عوالم اتصال معيّنة بذاتها، تخص رسالة دون غيرها، فمراعاة البرنامج التواصلي الجماهيري يعيرنا اهتماما كبيرا في التلقي والتداول، لإحداث تمايز نوعي خاص بمرحلة دون أخرى، حيث يشكل التجمهر روحا جماعية جبارة ولكن مؤقتة[1] لأنّ الحجم الذي يتم التفاعل فيه يكون بشكل نسبي، يُخلف في ظرف معيّن لأمر مخصص يفرض زمان ومكان محدّدين، ما يفرض قولنا إنَّ دور الجماهير على اختلاف تأثيراتها لها تدرّج زمكاني معيّن يقاس من خلاله مدى التأثير والتأثر الفاعلين في برنامج التواصل الخاص بالوسائط الجماهيرية، ولعلّ معرفة نفسية الجماهير اليوم بات من الأساسيات التي نعرف من خلالها مدى تأثير ما يمكن طرحه على الصعيد الأدبي والنقدي والثقافي وغيرهما، أو بالأحرى رؤية مدى التلقي والتأويل مع هذه الأخيرة.

تصنع ولادة القوة الجماهيرية من الحدث الإنتاجي مفارقات متعددة ومتنوعة ذلك أنّ الكاريزمات المناسبة تتبلور من النتاج المعرفي الخاص بكلّ مرحلة من مراحل تشكلّه، على أن النصوص باختلافها، تتنوع وتتعدد باختلاف المتلقي الجماهيري الواحد فنجدها أي الوسائط الجماهيرية تمتثل إلى شروط معينة من المتلقي دون أخرى وذلك لإنتاج خطابات في سياقات بذاتها دون غيرها. وطبعا على مقاصد معيّنة دون

---

[1] غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص41.

غيرها وعلى الرغم من كلّ هذا التأثير والتأثر القائم على أساس الوسائط الجماهيرية، إلا أن الأمر يبقى نسبيّا وغير كاف للإحاطة بخباياها وأسراره "فلا تزال معرفتنا بها ضعيفة جدّا"[2] ففي الغالب الأعم، نجد أن المنتج يعرف فقط الخصائص التي يريد من متلقيه، فيعمل جاهدا إلى الوصول إليها عبر منافذ (يعلمها/ لا يعلمها)، (ينتجها/ يصنعها/ يتفاعل معها ...)، وإننا نعلم جيدا بأنّ للوسائط الجماهيرية مدارات توليفية جدّ خاصة يتحكم فيها زمام التعدد والتنّوع، وقد يكون المحرّك المنتج أحد أسباب ذلك.

وعلى هذا الأساس، لا يمكننا الحديث عن التحولات الوسائطية القادمة دون الإشارة إلى الوسائط الجماهيرية، ذلك أنّ "نضال الجماهير هو القوة الوحيدة التي لا يستطيع أن يهدّدها أي شيء، وهي القوة الوحيدة التي تتزايد هيبتها وجاذبيتها باستمرار"[3]، فالخضوع إلى القوانين العامة والخاصة للتواصل والاتصال لإحداث إعلام معين يأخذنا إلى (نص) ذي مستويات عديدة مع وجود (متلق) ذي أبعاد معرفية معينة فـ"التمييز بين التواصل والإعلام والاتصال يجعلنا ونحن نصل كلّ ذلك بـ"النص" ينتقل في مستويات عديدة (...)وعليه فنحن مطالبون بتحديد مجال النص في نطاق تواصلي يتصل بالأبعاد المعرفية للنص" [1] ما كان القول في ذلك لولا

---

[2] المرجع نفسه ، ص47.

[3] المرجع نفسه،ص44.

[1] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ص111.

وجود دلالات عائمة وعائمة لمعانٍ حاضرة أو مؤجلة تخضع للثقافة الجماهيرية "والتي تعتبر كهندسة رمزيةٍ معقدة ومركبة يعمد المجتمع إلى ابتكارها ويتعهّد بالصّون والتعديل والترميز والهدم، كلما اقتضت الحاجة لذلك"[1].

تعدّدية الوسائط الجماهيرية:

يتواصل الوسيط الجماهيري في أساسه بجملة من الوسائل هي الأخرى تساهم في عملية (التلقي/الإنتاج، الإنتاج/التلقي)، بشاكلة تخصّ زمان بعينه ومكان بذاته داخل مكونات عصر ما دون عصر آخر، تلبية لحاجات المتلقي الجماهيري، فنجد الإنسان قد عرف الكتابة لتصبح الوسيلة الأنسب للتواصل ونقل الأخبار ومشاركة الأفكار ... ففي البداية كان ذلك عملا يدويا، وبطريقة تقليدية تامة لتتطور في ما بعد وتنتقل من اليدوي إلى الطباعة التي يرجع الفضل إليها في زيادة نسبة التواصل وتحسينها بل وأحدثت ثورة فكرية وثقافية واتصالية والمساعدة على انتشار الكتب والمطبوعات والمجلات...، ونحن هنا نشيد بالدور الفعّال الذي ساهمت فيه الكتابة الورقية من تطوير للأدب والنقد سواء كان ذلك قبل

[1] الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة -أنموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع الاتصال كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة 2016/ 2017، ص100.

الصحافة[3] أو بعدها، من "ظهور الأعمدة والزوايا والأركان الخاصة إلى جانب جعل القراء يتعرفون على إنجازاتهم الإبداعية، الاجتماعية والسياسية والأدبية والنقدية في زمان قياسي وصارت المواد المنشورة في الصحف والمجلات تجمع بعد ذلك في كتب مطبوعة"[1] فالأداء الوسائطي الجماهيري في هذا الشق، قد لقي استحسانا وإقبالا كبيرا لدى شرائح القراء، ومن خلال ذلك يجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا الوسيط الجماهيري قد أنتج جيلا من القراء مغايرا تماما للأجيال (السابقة أو اللاحقة) كما أن الإنتاج في حدّ ذاته كان يحمل صفات وميزات هي الأخرى تتميّز عن سابقاتها، لتترك إرثا للتلقي يخص الكتابة والورق فقط، ونحن نعلم جيدا أنّ الممارسات السردية تغيرت بتغير وسائط التواصل الجماهيري من الشفاهي إلى الكتابي، ومن الطباعي إلى الرقمي[2].ولأن الفنون والثقافة والأدب والنقد وغيرهما من المجالات، تفرض ضرورة مسايرة العصر من تطورات فـ "كلما تطوّر الفكر البشري وتطوّرت آليات تفكيره تغيّرت

---

[3]الصحافة: لقبت "بالسلطة الرابعة" على حد قول " بورك Bork" الإنجليزي منذ القرن الثامن عشر، هلال ناتوت، الصحافة نشأة وتطورا، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006، ص14.

[1]سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الأمان، المغرب، الرباط، ط1، 2012، ص35.

[2]ينظر :المرجع نفسه، ص25.

أشكال تعبيره، ومن ثمة تغيرت إدراكاته للأشياء والحياة العالم[3]، لتتحول مرةّ أخرى الكيفية والوسيلة لتتغير معها آليات التوصيف، مع ما أحدثته التكنولوجيا في البداية كان الورقي الكتابي ثم تحول إلى السمعي البصري، ولعلّ الصحافة مرة أخرى هي المثال الأنسب لذلك، فتنمّط الوسائط الجماهيرية هنا باستعمال صيغ جديدة من التواصل تعتمد على الصوت (التسجيل) والصورة (التصوير)، تبعا لتداعيات العصر التكنولوجي التي نجمت عن الثورة الصناعية لتنقل بكيفيات مختلفة ومسافات زمانية متباعدة، حتى نكون في الصورة عند حدّ قولنا عن الصحافة كمثال ذلك فإننا سنضيف الإذاعة والتلفزيون والسينما ... لتتسع ورقة الأشكال التعبيرية من المطبوع والمسموع إلى المرئي[4]، فهذا الانتقال الصّادم، أحدث هو الآخر ثورة أدبية ونقدية من نوع آخر، كما أن المتلقي في زمن الكتابة والطباعة قد انتقل إلى مراحل جديدة من تلقيه، على أنه متلقٍ ذو صفة متغيرة ومحدثة بل وتحسينية إلى أبعد الحدود. كما أن ظهور شرائح جديدة من الطبقات القرائية أمر حاصل بالإضافة إلى ظهور نقد سردي يتعالق مع تطوير المعارف والعلوم الأمر الذي غيّر في الكثير من المستويات التقنية للسرد والنقد والتلقي والإنتاج وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، يقدم سعيد يقطين ارتباطا وثيقا بين تلك التحولات ومدى تأثر الأنماط السردية

---

[3]زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2009، ص12.

[4]ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص35.

ويخص بالذكر الرواية، على أنها النوع السردي الأكثر تجاوبا مع التحولات العصرية[1]، على أنها في لاحق الأمر ستستخدم الأدوات الوسائطية والتفاعلية من جهات متعددة ، وباستخدامات تخضع للمستخدم الإلكتروني على تنوعه مع مراعاة قدراته في التحكم الكلي/ الشبه كلي؛ فمن الجانب التقني، يرى بأن:[2]

-اللغة: من لغة ثقيلة إلى لغة وسطى، يمكن أن يتفاعل معها كل قارئ مهما كان مستواه التعليمي، وهي اللغة التي أفرزتها هذه الوسائط الجديدة.

***البناء:** بعد أن تنوعت المستويات البنائية والتنظيم النصي من أنواع قديمة شفوية كانت أم كتابية أم فنية من أفلام ومسلسلات و مسرحيات و تمثيليات... ،استطاعت البنية الروائية أن توظف مختلف تقنيات الوسائط الجماهيرية التي نجدها في الصحافة: التقطيع المشهدي، مختلف أشكال الحوار، البعد الوثائقي والتسجيلي – التحقيق- توظيف المفارقات الزمنية، وخاصة تقنية الإرجاع، تقديم الحدث الواحد من منظورات متعددة...

***التفاعل:** تبين ذلك من خلال تفاعلها مع مختلف أشكال التعبير والتواصل والاستفادة منها في تشكيل عوالمها: من سينما ومسرح و عوالم الموسيقى و الصورة والتشكيل...

[1]ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود ، ص36.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص37،38 .

لقد نجم هذا الانفتاح بخصوصياته المختلفة، عن الوسائط الجماهيرية وآثارها المختلفة أيضا، ليكون في ما بعد فهما ووعيا جديدا ذا أدوار مختلفة تعمل على التغيير التدريجي للمفاهيم النظرية النقدية، على أن النقد يواكب كل تغير سردي حاصل، وهذا طبيعي، لأن الوظيفة السردية الحقة هي نمط محرك لبنيات نقدية بالمعنى العام أو الخاص، وتعمل على تشكيل عوالم وآفاق رائدة في نظريات نقدية مختلفة.

الوسائط المتعددة: ... نحو عالم الرقمنة والنقد البيني المعرفي:

يستدعي دخول العصر، توظيف اللغة المناسبة له للتواصل والإنتاج والتلقي، شهادة ميلاد جديدة تكتب لحظة ميلاد عصر جديد، عصر مولع بالتكنولوجيا، ينفتح فيه المثقف على صناعات جديدة يمكن الاضطلاع بها في مجالات متعددة، فنحن أمام شبكة من الإنتاج والتلقي تصنع حدث الانتقال – من/ إلى- وسائط متعددة من التكنولوجيا والمعلوماتية والرقمنة...، فـ"مع أواخر القرن العشرين، ومع ظهور الحاسوب حصل تطور كبير على مستوى الوسائط "[1] الأمر الذي لا يمكن إنكاره، هو أن المستوى النقدي والأدبي قد واكب هذا التطور الحاصل في المنظومة الإنسانية والفكرية حيث لم يقعد هذا التطور حبيس أجهزة الحاسوب وفقط، بل تطور بتطور التكنولوجيا، فمن الحاسوب إلى الرقمنة المعاصرة من هواتف ذكية، لوحات الكترونية، أجهزة الإسقاط الضوئي،

[1] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص41.

اللوحات الذكية ، كذلك أنظمة الأوندرويد الحديثة والمعاصرة، كما أن لتحديثات وتحيينات الأنظمة الخاصة بالأجهزة نصيب في ذلك أيضا، فالثورة الوسائطية في بدايتها "تظهر لنا بجلاء مع الوسائط المتفاعلة التي تتجسد من خلال الحاسوب الموصول بالفضاء الشبكي، لقد نجم عن هذا التحول الكبير ظهور الرواية المترابطة (Hyperfiction) التي تستثمر إمكانات الحاسوب وبرمجياته المتعددة المتصلة بالكتابة والصورة والصوت"[2]، فما تتيحه الخدمات التكنولوجية يساهم في إمكانية الوصول إلى أنماط جديدة للسرد والنقد، وهي رؤية لا تعني سوى هيمنة التغيير التي تفرض نفسها سواء كانت لسهولتها أو الإتاحة العامة (أي متاحة لدى الجميع) أو ملائمتها لإقناع الآخر، أو الذات...قد تكون من جهة أخرى مبررات تسعى لتسوغ جوا ملائما للبروز أكثر وتغطية لعيوبها، "ومدخل التطور هنا تطوير رؤيتنا وممارستنا للثقافة وللغة وللإبداع وللتواصل"[3] ببسطها الدائم في خضم تناقضات وتسارعات وتيرة العصر وتطوراته.

أظهر تطور صناعة المعلومات واستخدامها إلى ظهور التواصل والإبداع والتلقي بحلة جديدة، ما يحقق الأقوال المتعالية الداعية بوجود انعطافة بشرية في مختلف الميادين، ولعل الأمر لم يكن ليكون لولا "اندماج التطور التكنولوجي الهائل مع القدرات البشرية لينتج ما بات يعرف بما

---

[2] المرجع نفسه ، ص41.

[3] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ص32.

بعد الإنسان Post humain"[1] ليصبح الإنسان في الألفية الثالثة، متحدا مع الآلة سواء كان ذلك اتحادا كليا أو جزئيا، حيث تطلق عليه "دونا هاراوي بالسايبورغ Cyborg [2]في إعلانها الصادر عام 1989م والذي يحمل اسم "إعلان السايبورغ"[3]ما يعزز على وجود انتقال وتحول هائل كان بداعي التأثير والتأثر على مدى واسع ومنفتح مع الآخر، باعتبار أن الآخر ما هو إلا مجموعة من العلاقات التي تقوم التكنولوجيا حاليا بربطها وجعلها قرية صغيرة أو أشبه ببيت واحد له طوابق عديدة، إلا أن العلاقات على اختلافها أحيانا قد تختزل كل شيء إلى كون فردي[4]، فنكون هنا أمام ما أطلق عليه بيتر سلوترديك مصطلح العزلة المترابطة.

"ما تقصده دونا هاراوي بالسايبورغ الكائن الحي السايبرنيتيكي، والكلمة بحد ذاتها نتاج اندماج كلمتي الكائن الحي Organismوالسايبرنيتيكي Cyo/OrgCybernetic[5]مع العلم أنها هي أول من

---

[1]أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص247.

[2]السايبورغ Cyborg:تعطي المفردة معنى عاما مفاده تدعيم الجسد الحي بمكونات آلية اصطناعية، حيث كان الظهور الأول عام 1960، على لسان الثنائي مانفريد وناثان، ينظر: أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص247. أيضا: ياسين أحمد سعيد، نصف إنسان نصف آلة، إضاءات، 26/ 02/ 2019، س02:34

[3]ينظر: أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ص247.

[4]ينظر: حسن العيسوي، فلسفة العمارة، www.archifia.blogspot.com، 02/ 03/ 2019، س:01:38.

[5]أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة،ص247.

نقله إلى الأدب والثقافة[6]. من أجل هذا، بات الحديث عن الإنسان بشكل منفرد لضرب من الخيال تقريبا؛ فالحياة خارج الآلة باختلافها قد يسبب في تهم كثيرة تلاحقه منها تلك التي تصفه بالرجعية والتخلف. تكتب كاثيرين هيلز: "منذ وقت ليس بالقصير سرت إشاعات عن أن عصر الإنسان قد سلم مقاليده إلى عصر ما بعد الإنسان، ليس الأمر أن الإنسان قد مات، ولكن الإنسان بوصفه مفهوما قد تطور درجة أو درجات، فالإنسان ليس نهاية الطريق، إذ يبزغ من خلفه السايبورغ: الكائن الهجين المخلوق من تزاوج الكائن البيولوجي والآلية السايبرنيتيكية[7]، وهو الاندماج الذي يحطم حدود بعض الأقطاب المتنافرة، والمشتتة، كدلالة – قد تكون نسبية وقد تكون كلية– على نظام من التفاعلات اللانهائية المفتوحة التي تعمل دون حدود ثابتة، ما يجعل انتقال عملية العزلة المنعزلة، إلى العزلة المترابطة، "فالعالم اليوم يعيش نقلة نوعية في تكنولوجيا الوسائط والإعلام، كتلك التي شهدها عصر الطباعة والكتابة، هذه الأخيرة التي خلخلت الثقافة الشفاهية وهزت عرشها"[1].يفرض هذا الإثبات هشاشة ووهم حقيقة الإنسان خارج عالم الآلة ما يبرر أيضا نضال الإنسان بحثا عن سبل تواصل أكثر حوارية،

---

[6] المرجع نفسه، ص247.

[7] المرجع نفسه، ص248،247.

[1] عبد الرحمان تبرماسين، أمال ماي، سيميائية الصورة البراغماتية في الرواية رواية "الصقيع" محمد سناجلة أنموذجا، الملتقى الدولي السادس "السيمياء والنص الأدبي"، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ص292.

جاعلا منها أداة و وسيلة لخدمته مستنطقا كل صعوبة كان يصعب الكشف عنه في وقت مضى، وهو الهدف الذي يبلور وجهات نظر مختلفة مع إيلاء اهتمام خاص يكمن في جوهر هذا التحول، الذي يصرح من خلاله "منظرو التنمية أنه يمكن للشعوب النامية استغلاله لبناء نموذجها الخاص بمجتمع المعرفة"[2]. وعلى هذا، لم يعد الحديث عن الأدب والنقد بعيدا عن عصر التقنية جديدا أو غائبا عن فكر الثقافة المعاصرة، ذلك أن الثقافة الرقمية اتخذت معايير مائعة وسائلة، تقاس على أساسها مدى تفاوت المجتمعات فيما بينها، "فالشاشة الزرقاء / النت حقيقة تحاصرنا من كل الجوانب وحالة تواصلية فعالة، تفرض نفسها شئنا ذلك أم أبينا، فما يعرض على النات يعتبر بالضرورة نصا، [و] رسالة متعددة الأبعاد والدلالات"[3]، وهو الأمر المسلّم به حاليا، ما يجعلنا نذعن إلى القول بأننا أمام مشاهد متطورة تلاحق المعرفة والثقافة والأدب والنقد، عبر وسائط رقمية والكترونية، تحمل في طياتها دلالات وأبعادا فيها ما فيها من الرسائل التواصلية المتنوعة والمختلفة، المبطّنة منها والمعلنة.

---

[2] نبيل علي، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة: رؤية عربية مستقبلية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، العدد 81، ط1، 2010م، ص14-15.

[3] عبد الرحمان تبرماسين، أمال ماي، سيميائية الصورة البراغماتية في الرواية رواية "الصقيع" محمد سناجلة أنموذجا، ص292.ما بين معكوفين زيادة مني لا أصل لها في النص حتى يستقيم التعبير لغة.

تردم التكنولوجيا فجوات كثيرة من العلاقات التي استحال في زمن مضى تحقيقها والوصول إليها، فالثقافة التكنولوجية المعاصرة بأبوابها المتعددة صنفت من البنى الثابتة، مجالا أكثر ميوعة وشفافية بحجّة أنها لغة العصر، هذه الحقيقة خلّفت بيئة إنتاجية تجسد الواقع السايبورغي انطلاقا من تداعيات (التفاعل/ الإنتاج – الإنتاج/ التفاعل). و"اقتضى الأمر بالضرورة تطوّرا أدبيا وفنيا يعكس هذه المتغيرات واسعة النطاق في الثقافة والمجتمع، فكان ما بات يطلق عليه الفن التطويري والموسيقى التطويرية والأدب الالكتروني"[1]، وهنا نرى بأن الوسيط قد تغيّر، وتغيّرت معه العديد من المفاهيم والمدركات، قد نأخذ في ميزاتها صفات متعددة، ويكون الأدب أبرزها ليأخذ منحى جديدا في الإنتاج والتلقي، على أن الأخير يجمع بين الأدبية والصوتيات والبصريات، وتقنيات أخرى تخضع لحكم التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة.

تحدّد منظومة الأدب الالكتروني بأنه "العمل الذي يحمل جانبا أدبيا مهمًّا ويستفيد من الطاقات والسياقات التي يوفرها الحاسوب المستقل أو المرتبط بشبكة الأنترنت"[2]، والمقصود هنا، استعانة الأدب في كل تفرعاته وأجناسه، بالتقنيات الحاسوبية وبرمجياته، والاعتماد على الوسائط المتعددة والمتنوعة لخلق نص، مقدم بتجارب جديدة تدخل الصوت والصورة

[1] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص250.

[2] المرجع نفسه، ص252.

والرسوم المتحركة، والموسيقى، وفن الإخراج...، كما تحدّد منظمة الأدب الالكتروني التصنيفات التي يمكن أن تندرج تحت ما يسمى الأدب الالكتروني:[3]

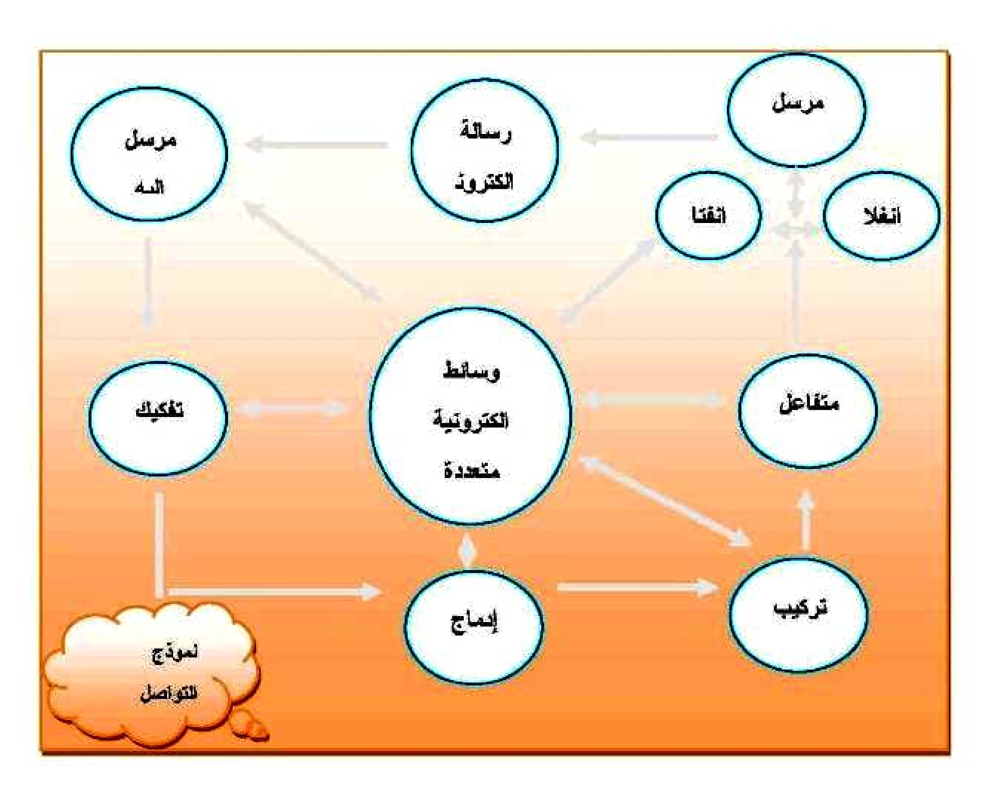
- الرواية والشعر الشعبي داخل وخارج الويب.
- الشعر الحركي الذي يقدم في فلاش أو يوظف منصات أخرى.
- الإنشاءات الحاسوبية الفنية التي تطلب من المشاهدين قراءتها أو التي تحمل جوانب أدبية.
- شخصيات المحادثة، والمعروفة أيضا باسم Chatterbots.
- الروايات التفاعلية.
- الروايات التي تأخذ شكل رسائل البريد الالكتروني، الرسائل القصيرة أو المدونات.
- القصائد والقصص التي تم إنشاؤها بواسطة أجهزة الكمبيوتر، إما بشكل تبادلي أو بناءً على معايير معيّنة في البداية.

---

[3]المرجع نفسه، ص253،252، منظمة الأدب الالكتروني، تاسست عام 1999م، وتهدف إلى تعزيز الكتابة، والنشر والقراءة على الوسائط الالكترونية، فقد وضعت لجنة خاصة يرأسها نوح واردريب فرون وهو مبدع وناقد متخصص بالأدب الالكتروني.

- مشاريع الكتابة التشاركية التي تسمح للقراء بالمساهمة في نص العمل والأداءات الأدبية على الانترنت التي تطوّر طرقا جديدة للكتابة.

تبعا لذلك، تنظم البنى الدلالية – العامة والخاصة- بعملية تواصل فيها التركيب والتفكيك والإدماج، مع وجود ميزة الانغلاق والانفتاح.



تتوسط "الوسائط الالكترونية المتعددة" عملية التواصل الالكترونية، ذلك أنها تقوم بتحريك العلاقة بين (النص والكاتب والقارئ في الأدب الالكتروني) والذي سيؤدي في زمن لاحق إلى تغيير الأدوار والانتقال من

سلطة جمعوية إلى سلطة مشخصنة، تقوم على فردانية الانتقال والاندماج العام والخاص، حتى يصبح (القارئ والمؤلف شخصا واحدا) نظرا لما تحمله العوالم التكنولوجية من خصائص؛ "إن المؤلف والقارئ يصبحان أكثر وأكثر الشخص نفسه وتصبح التكنولوجيا الرقمية مسؤولة"[1]، أي أن الحدود بين الاثنين (القارئ والمؤلف) قد باءت بالتلاشي والاختفاء والزوال، حيث تتاح فرصة للقارئ بأن يصبح المؤلف القارئ والقارئ المتفاعل، والناقد ثمّ الناقد المتفاعل؛ حيث يطرح لنا لاندو الطريقة الممارساتية التي يعتمد عليها الأدب الالكتروني أو الالكترونيات، أو الروابط الالكترونية المتعددة في اختزال وطمس تلك الحدود بين الكاتب والقارئ فـ"من خلال السماح بمسارات مختلفة من خلال مجموعة من الوثائق، فإنه يجعل القراء، بدلا من الكتاب يتحكمّون بالمواد التي يقرؤونها وبالترتيب الذي يتم قراءتها به"[2]، وتزيد أماني أبو رحمة في مؤلفها أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، أنه وعندما يمتلك القراء السيطرة على ما هو أمامهم من نصوص وقراءة، إلى غاية وصولهم درجة تغير المعنى فإنهم يصبحون عرضة لمغامرة أن يكونوا مؤلفين لا قراء فحسب، فإذا كان المؤلف يخطط في بداية إنشائه للنص، القبض على القارئ

[1] أماني أبورحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص255.

[2] المرجع نفسه، ص256.

ومخادعته ومحاولته مراوغة المعاني الممكنة التي سيكتشفها القارئ في لاحق قراءته، فسيأتي القارئ المتفاعل ليغيّر النص ويعطيه منحى آخر وترجمة أخرى لم تكن مقررة صراحة من قبل المؤلف، فإن القارئ يتحوّل إلى مؤلف مشارك، ما يجعل القارئ داخل حيز من التفكير، وهو الذي أقحمه فيه المؤلف سابقا، الأمر الذي قد يحوّل ظاهرة التأويل من تعدد المعنى إلى تشعب وانفلات المعنى بجدارة واستحقاق، تلك المعاني الأولى التي صاغها النص الأول، وعلى هذا "فإن النص الالكتروني لا يميز بين المؤلف والقارئ والنص نفسه، ولكنه ينظر إليهم جميعا بوصفهم أجزاء من نظام، وإن استبعاد أيا منهم يعني أن النظام لن يعمل بالكفاية المطلوبة، والصورة الأخيرة التي يرسمها الأدب الالكتروني هي مجموعة كبيرة من الأفراد يتصرفون بوصفهم قراءً ومؤلفين في شبكات التغذية المرتدة المعقدة" [1].

خلاصة:

وعليه؛ نحن أمام فقاعات ثلاث تلعب دور المتحول الثابت والثابت المتحول، ليكون المتحكم مقترنا بـ: الكاتب، والنص الالكتروني، والقارئ (القارئ القارئ/ القارئ المتفاعل / القارئ المتفاعل الكاتب).

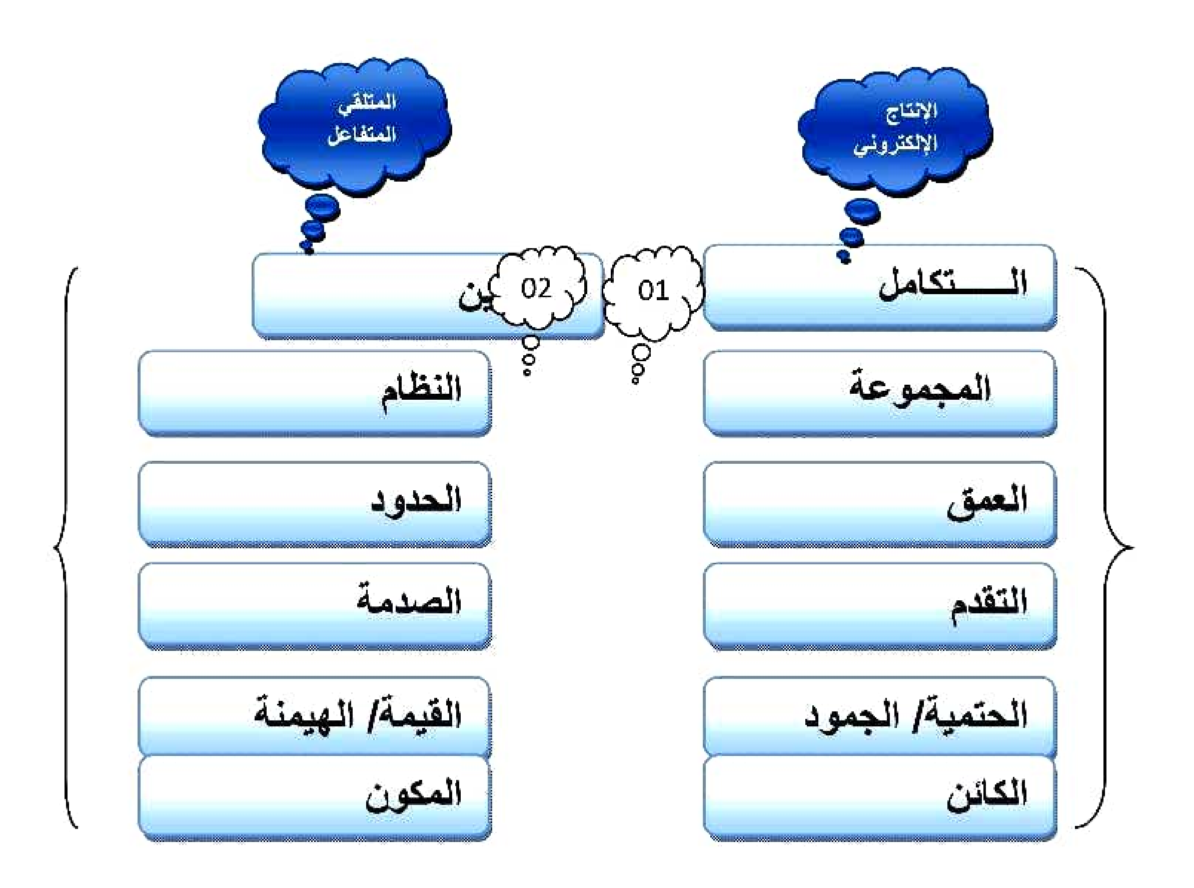
[1] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد مابعد الحداثة، ص257.



- **عدميـة الإنتـاج:** حكـم ثابـت متحـول، يسـتند إلى طبقـات المعرفـة المعاصرة، الخاضعة لشاكلة مرهونة بأدوار تتحدث عـن مـوت كتـابي واحد، لم يطور عدة التواصل خاصته، ولا ينتبه لأهمية التنوع الخاضع لعالم يتعولم، ولا يـولي اهتمامـه لـلأداء المتنـاقض المتصـل في الغالـب الأعم، بالحضور الفاعل لكفاءة مـا، بميـدان مـا، في جهـة تركيبيـة مـا أيضا.
- **تعددية الاختزال:** مجمل استيعاب، ينـوء برؤيـة المـآل الـذي آل إليـه المتفاعل، بإلغاء كلفـة العدميـة الأولى، مـع إيـلاء إشـكاليات المعالجـة الموصولة، بتحول ما، سواء كان هذا بعيـدا عـن السـياق أو باشـتراك

الاثنين معا، حيث تقوم صفة الاختزال، بحكم التفوق الهائل، على جدلية غائبة، تتيح للنسق المنتج فاعلية وتركيبة رمزية، أكثر مرونة، تنمط الأداء التواصلي بالوسائط المتعددة.

- **تحوّل مكبح:** موقف مفترض، يعادل القوالب المجدَّدَة داخل دائرة الإنتاج، حيث يعمل هذا التحوّل، على استدعاء الوسائط المتعددة لإعادة تركيب الأبنية المتجددة داخل التحويرات الجزئية البديلة لحكم عدمية الإنتاج، ومع ذلك تظل صفة التحوّل مكتفية بأنماط معينة دون أخرى، لتفتح مجال التواصل المتوالد، مع العالم ومنتجاته المعرفية الجديدة حيث تنتج هذه التمايزات قائمة من التحولات الواسعة التي تضرب طبيعة المفاهيم في جوهرها، على نحو شبكة مفاهيمية متقابلة:



نقترح في هذه القائمة الممثلة أعلاه، جملة من المعايير التي تخضع الإنتاج الالكتروني؛ حيث تمثل هذه المفاهيم هيمنة متعددة الموضوعات، فليس بمقدورنا أن نلج باب التلقي الإلكتروني دون معرفة النطاق المفاهيمي الذي يعود في غالبه إلى عوالم مشحونة بالدقائق التكنولوجية الحديثة والمعاصرة، وبذلك، نستدعي صياغة معينة تخالف الصياغة الورقية التي اعتاد عليها المتلقي من الطراز الورقي، بحثا عن مستوى فكري نرى فيه ترجمات ومعادلات معينة لنظرية القراءة والتلقي تحت ضوء الإنتاج

الالكتروني في مقابل المتلقي المتفاعل. فهذا التنظير المرجو تحقيقه لأداء فعلي مبني على مستوى الإنجاز، يأخذنا إلى حتمية إعادة مراجعة بعض المفاهيم النقدية والأدبية، حتى تفرز الوسائط الالكترونية المتعددة صيغا رقمية تمكننا من القبض على تلابيب المتلقي / المتفاعل الجديد داخل عتبة تعبيرية إنتاجية جديدة، لكن "نتيجة لطبيعة تشكل النص الرقمي، فإن قراءته تستلزم امتلاك نفس آليات الثقافة الرقمية، وهذا يفترض على القارئ أن يمتلك هو الآخر – شأنه شأن المؤلف الرقمي- نفس إمكانيات الثقافة الرقمية"[1]؛ وهذا يعني أن المنتج والمتلقي يستخدمان التقنيات ذاتها التي تقرّب الإبداع عبر الوسائط الرقمية إلى نهاية البداية، وبداية النهاية ليكون الوضع أكثر انفتاحا واستمرارا.

---

[1] زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص38.

خاتمة

وفي قاعدة هذا العمل وقفنا عند:

- الصورة الشكلية لبنية المقاربة (المنهج)؛ إذ المتوصل إليه أولا هو كيف تحدث القراءة؟ وكيف تطبق على النصوص؟ وكيف تخرج إلى الإجراء المتناسب مع البنى النصية؟ وهذه **طبيعة أولى**.
- تمّ تقديم نماذج بمخرجات مدرستين مختلفتين؛ كالجمع بين المدرسة السيميائية الأمريكية بمنطق **بيرس** السيميائي، وبين حدسية الظاهراتية الألمانية مع هوسيرل (**Husserl**)[**محمد الماكري**]. ولا يجمع بينهما إلا مركزية القارئ وقصدية الأشكال بوصفها علامات دالة، أو الجمع بين السيميائية والتداولية[محمد مفتاح]، أو الجمع بين البنيوية والسيميائية والتفكيكية ونظرية القراءة [الغذامي]. [الدراسات الثقافية/ هوية المنهج]
- تقاطع المدرسة الفرنسية في فكرة النصوص المصاحبة مع المدرسة الألمانية في تتبع أفق التّوقع، وكلاهما تأويل مجمل، يصدقه التأويلان المفصل والحر، وهذا **تماه** غريب وتداخل يستدعي النظر .

- ارتباط الصورة الشكلية لبنية المقاربة بمرحلة الحداثة؛ لأن الهدف يومئذ متعلق بالمنهج في صورتيه التنظيرية والإجرائية، وهذه خصوصية.
- المنهج والبنى المضمونية ومحمولات النصوص في مقاربات ما بعد الحداثة؛ فنظرية أفعال الكلام تتقصّي الاستلزام المفهومي في القول وفعل القول ومحمول القول، كما تقاربه التداولية، وتسعى إلى إدراك التحميل الدلالي بين دائرتي التواصل إنتاجا والتفاعل فهما واستيعابا، بما ينمّي وظيفة التوجيه والتقرير ووظيفة التمرير. وفي السياق ورعاية الموقف وتعيين المقاصد ما يمنطق علاقة المتخاطبين إنتاجا وفهما؛ فيكون المعنى حاصل حوار بين الملفوظ والقصد بمركباته وطبيعة السياق وإطار التلفظ، وإن كان في حال الكاليغراف يبدو تشكيلا على علاقات البياض بالسواد؛ وصلته بالمعنى والدلالة، وفي ذلك تحولات متسارعة.
- مركزية النص في المدرسة الفرنسية مع التفكيك في مرحلة ما بعد الحداثة التي تقتضي التجربة الفردية، ومع البنيوية والسيمياء والأسلوبية في مرحلة الحداثة التي تقتضي التجريب والقياس. وعليه؛ فمركزية النص لا تتعلّق بالمراحل التاريخية ولا بالمواقف

الحضارية والثقافية بقدر ما تتعلّق بالمدرسة والتّصور العام للفهم والإدراك في المدرسة الفرنسية، وهذه **خصوصية** نظرية فرنسية.

- مركزية القارئ في المدرسة الألمانية، واعتماد التلقي التاريخي، وجماليات التجاوب **خصوصية** نظرية ألمانية مرتبطة بالمرحلتين: الحداثة وما بعد الحداثة.
- مبدأ التعاون في المدرسة الإنجليزية، واعتماد التداول والاستعمال المشترك ومحمولات أفعال القول تنوّعٌ معرفي، وإخراج للفلسفة إلى الواقع، وهو توجّه آخر في الفكر الغربي المعاصر.
- في المدرسة الانجليزية الجامعة بين السيمياء والتأويل، خروج عن نظرية الأشكال الدالة بالقصد إلى صوّر التأويل الاجتماعي والثقافي كما تفترضه مدرسة **برمنجهام** للدراسات الثقافية التي تعدّت الأدبي إلى الشامل والكلي في مقارباتها بين النخبة والجماهير، وهو **تجاوز** فيه تجديد وواقعية يصنعان إطارا معرفيا للمدرسة.
- المدرسة الأمريكية المتطورة ذاتيا والمتحوّلة من نظرية شاملة أساسها التوليد والتحويل ومركزية التركيب إلى نظرية النص وتحليل الخطاب، مع اعتماد مخرجات نظريتين متنافستين: **الدلالة التوليدية** في مقابل **الدلالة التصورية**. وفي هذا المشهد أهمية النقد الذاتي

المفضي إلى التطور والإبداع، ونبذ التقليد والجمود؛ وذلك بتمثّل الاستعمال والتداول وتفسير ظواهر الإنتاج والإدراك بالتوليدي وبالتصوري الذهني وفق معطيات هندسة التوازي.

- طغيان المد البيني والتحوّل من نقاء التخصص إلى تكامل المعارف، وهو تحوّل نوعي، فيه شيء من العود على البدء ولكن مع اختلاف في التصوّر؛ فالشمولية معرفة شاملة، وهي مرحلة سابقة في تاريخ الفكر البشري، والتخصص معرفة دقيقة منغلقة، وهي معرفة لاحقة، تحمل معرفةً متخصصةً، ثم تعود الشمولية من جديد، بوصفها تخصصا منفتحا على تخصصات أخرى تتكامل في ظل المعرفة الكلية بالتحليل والتركيب والتقويم، والإدراك الكلي ، الذي يستوعب الظواهر في شموليتها.
- الخروج من الورقي إلى الالكتروني واعتماد التفاعل عن بعد داخل العزلة المترابطة بالاتصال المكفول بوسائل التواصل العلمي والتكنولوجي، مؤسّسا مجتمع الرغوة والطبيعة السائلة للقيم من منظور تحوّل القيم والعزلة المترابطة.
- الحوسبة اللغوية في اللسانيات وفي اللسانيات التقابلية والترجمة، والمعجمية والبحث الدلالي المحوسب، عمل تحليلي لساني معجمي

يجري على التوافق اللساني الثقافي في الاستعمال والتداول، أو وفق دلالة الألفاظ سيميائيا، والانتقال من المعنى المعجمي إلى المعنى التداولي بالقصد والسياق، مع إمكانية حوسبة التحليل السيمي بتزكية الخصائص المميزة للفظ ومراعاة التجاور والتوتر والمشابهة ونسبيه الاستعارة في الاستعمال والتداول، تعيينا للمعنى الحاصل في مرحلة الإنتاج. إنّ حوسبة مركبات اللغة فعل عام يتعلق باللسانيات الحاسوبية، والبحث في الدلالات والمعاني وفي التراكيب فعل خاص تقتضيه حوسبة اللغة والبرمجة والاستعمال، في مجالات الترجمة وتحليل الخطاب، وكلّها مجالات تطبيقية، تظهر فيها المعرفية (العرفانية/ cognition) والبينية(interdisciplinarité) بوضوح.

المراجع والمصادر

باللغة العربية:

- أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018.
- أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019.
- أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2009.
- أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مؤمنون بلا حدود المغرب الرباط، 2015.
- أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014
- إيزر ،التخييلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد لحميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998
- بيتر ستوكويل، مقدمة في النقد المعرفي، تر: سلمى سليمان، دار النشر العلمي ومطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ،
- براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/ 1997م.
- تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تر: محمود أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012

- جاكندوف راي، علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريّم، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، 2010
- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984
- جون سورل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006،
- جيل دولوز، التكرار والاختلاف، تر: وفاء شعبان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009،
- رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل ، الحريري بين العبارة والإشارة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
- روبرت دبوغراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ج م ع، ط1، 1998.
- الزغول والزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت ط.
- زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2009.
- زيجمونت باومان، الحداثة السّائلة، تر: حجاج أبو جبر، تق: هبة رعوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016.
- زيودين سوردار (Ziauddin Sordar) و بورين فان لون(Borin Van Loon)، الدراسات الثقافية، تر: إمام عبد الفتاح إمام،المجلس الأعلى للثقافة(المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، ط1، 2002،

- سايمون ديورينغ(Simon During)، الدراسات الثقافية، مقدمة نظرية، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015
- سعد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/ 2002م.
- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 2005.
- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الأمان، المغرب، الرباط، ط1، 2012.
- شيفر جون ماري، الفن في العصر الحديث، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996،
- صالح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- صالح بن رمضان، التفكير البيني،أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، د ت ط.
- الغدامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط6، 2006.
- غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، تر.تق: هاشم صالح، دار السامي، لبنان، بيروت، ط1، 1991.
- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986

- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية- التركيب- الدلالة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1423هـ/ 2002م
- محمد أركون، القرآن من التفسير إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، 2005.
- محمد بوعزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2014
- محمد الداهي، سيميائية السرد، بحث في الوجود المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009.
- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992.
- محمد مفتاح ، التلقي والتأويل، مقاربة نسقين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994.
- محمد مفتاح ، دينامية النص تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006.
- محمد مفتاح ، في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989.

- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
- عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001.
- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2005.
- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 2003.
- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو منهج سيميائي لتحليل النص،تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- هلال ناتوت، الصحافة نشأة وتطورا، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006.
- يورجن هابرماس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009.
- **المقالات / المجلات/ المؤتمرات:**
- عبد الإله فرح، زيجمونت باومان والسوسيولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانيّة، الرباط، المغرب، نوفمبر2017.
- بيتر ستوكويل، نحو لسانيات معرفية نقدية، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، تر: امحمد الملاخ، طرابلس، لبنان، العدد44، 2018

- بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، اللسانيات والأدب موضوعان معرفيان، مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد2.
- عبد الرحمان تبرماسين، أمال ماي، سيميائية الصورة البراغماتية في الرواية رواية "الصقيع" محمد سناجلة أنموذجا، الملتقى الدولي السادس "السيمياء والنص الأدبي"، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، الجزائر، نوفمبر، 2008.
- لوس إيريكاري، كيف تشارك المادة في الأفكار، تر: عبد الرحمان مزيان، مجلة لوغوس، تصدر عن دار الكنوز، تلمسان، الجزائر، ع الأول، جويلية، 2012.
- محمد قماري، التفكير البيني، نحو كسر للحواجز بين الاختصاصات، مجلة مقاليد، العدد14، جوان2018.
- نسيمة عروس، في الخطاب البيني، خواطر نظرية من وجهة نظر المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد27، ديسمبر 2016.
- نبيل علي، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة: رؤية عربية مستقبلية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، العدد 81، 2010م،
- يسرى وجيه السعيد، مصطلح السيولة المعاصرة وارتداداته عند زيجمونت باومان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، ديسمبر 2016.

الرسائل الجامعية:

- الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة -أنموذجا-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في

علم الاجتماع تخصص علم اجتماع الاتصال كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة 2016 /2017.

باللغة الأجنبية:

- C.K.Orécchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, librairie Armond Colin, Paris, France
- G.Lakoff, women, fire and dangerous things, what categories reveal about the mind, university of Chicago press, Chicago, U S A , 1987
- G .Fauconnier., espaces mentaux, minuit, Paris, 1984.
- Groupe d'Entrevernes, analyse sémiotique des textes, introduction, théorie, pratique, presses universitaires de Lyon, éd du seuil, 1997
- Jackendoff .R., Semantics and cognition , Cambridge, Massachusetts, 1983.
- Jackendoff. R., semantic structures, Mit press, 1990.
- Jackendoff. R., semantic the role of linguistics in cognitive science, the state of the art, the linguistic review.
- Jackendoff.R, Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002.
- Jackendoff. R., language, consciousness, culture essays on mental structures, Mit press, 2007S. Talmy, toward a cognitive semantics, Mit press,2000.
- Jackendoff, R., semantic structures, the MIT press Cambridge. Mass., 1990.
- Jackendoff, R., Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002
- J.F.Sawa, encyclopedia of artificiel intelligence, 1987.

- J.M.Adam, textes types et prototypes, récit, description, explication, et dialogue, Nathan, Paris, 4è édition, 2001
- Pinker. S, learnability and cognition, the acquisition of argument structure, Mit press, 1989.
- Woods. W.A., foundations for semantic, 1975.
- Andeler. D., sciences cognitives, encyclopedia, Universalis, V65.

مواقع إليكترونية:

- أنديرا مطرا، عصر الحداثة السائلة" أفول الإنسان العمومي، القبس الإلكتروني، 14/ مارس/ 2019.
- حسن العيسوي، فلسفة العمارة، www.archifia.blogspot.com، 02/ 03/ 2019
- محمد يسري أبو هدور، عندما تصبح الحداثة سجنا للإنسان، الميادين نت، 17/ 03/ 2019
- هبة عزت رؤوف، الحداثة السائلة، من فعاليات البرنامج الثقافي المصاحب لمعرض الكتاب العربي الأول في اسطنبول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، موقع يوتيوب، 17/ 03/ 2019.
- Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle, dans L'homme et la société, 2003/3(no 149) pages 31-40. https://www.cairn.info/revue-l-homme-et-la-société-2003-3-page31.htm.
- Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage, in l'année psychologique, puf, 1972,vol.72, n2,:http : www.persée.fr/doc/psy_0003-5033_1972-num72_2_27960.
- Davy Bigot et Robert Papen, la sociolinguistique en résumé, uoh.concordia.ca/ sociolinguistique.
- Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies : une approche d'histoire des savoirs, dans revue d'histoire moderne et

contemporaine,2004/5, (no51-4 bis), pages 48-58. https : www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-pages-48

- http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm
- https :www.almaany.com
- https://context.reverso.net français-arabe
- https : //dictionnaire.reverso.net.
- https://fr.globe.com variété.
- https://www.larousse.fr français-arabe.
- http://mustafahaddad.blogspot.com/2007/05/blog-post_15html.

المحتويات